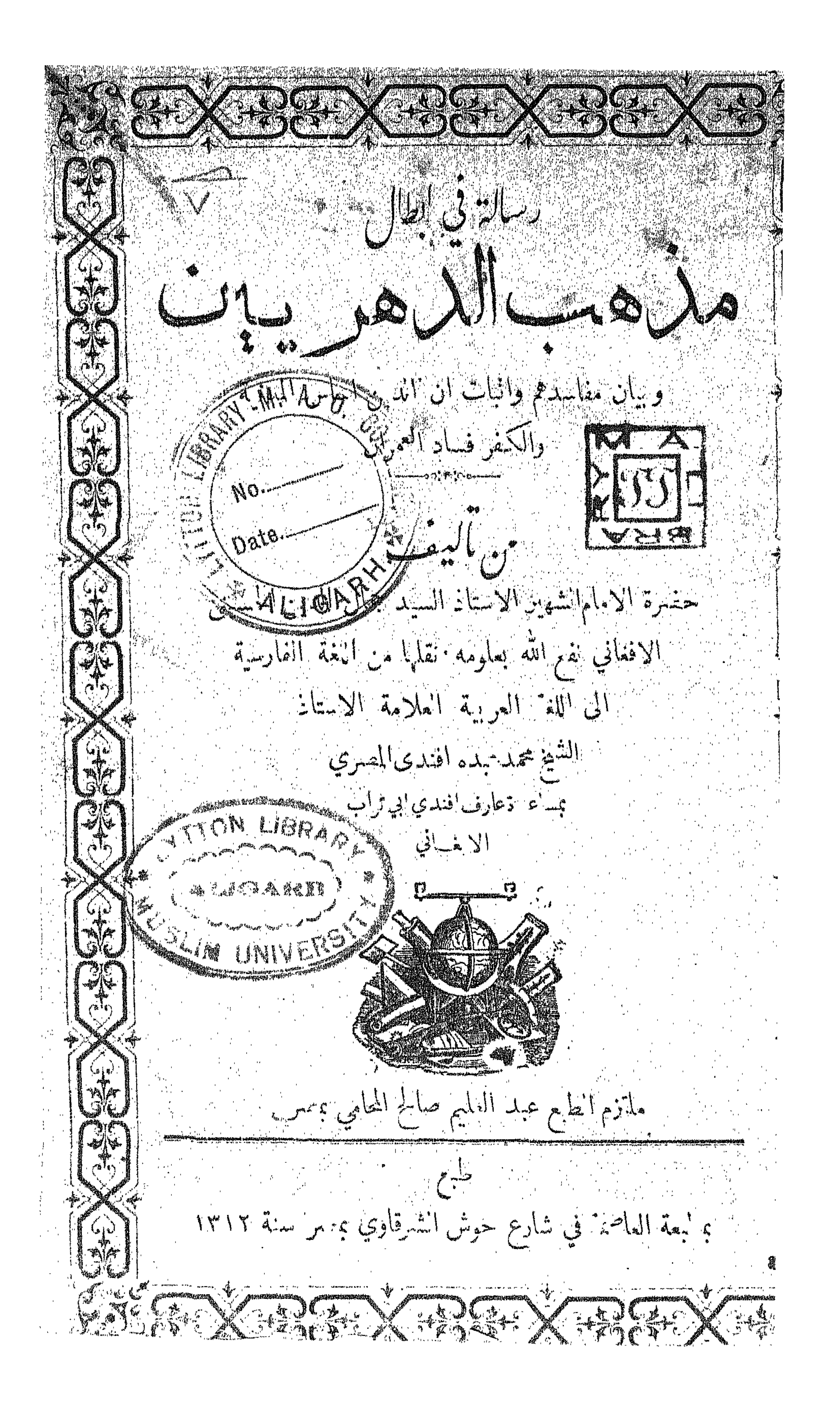


رسالة في ابطال

مذهب الدهريين

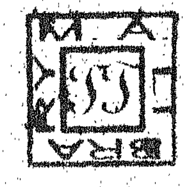
وبيان مفاسدهم واثبات ان الدين اساس المدنية
والكفر فساد العمران

من تأليف

حضرة الامام الشهير الاستاذ السيد جمال الدين الحسيني
الافغاني نفع الله بعلومه · نقلها من اللغة الفارسية
الى اللغة العربية العلامة الاستاذ
الشيخ محمد عبده افندى المصري
بمساعدة عارف افندي ابي تراب
الافغاني

ملتزم الطبع عبد العليم صالح المحامي بمصر

طبع
بمطبعة العاصمة في شارع حوش الشرقاوي بمصر سنة ١٣١٢

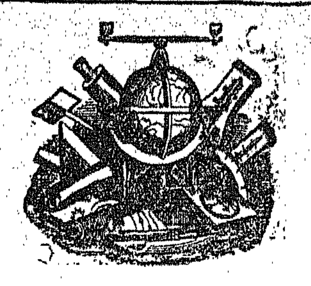


التعريف
بالمصطلح الشريف

كتاب عز على طلابه. اذ ليس له نظير في بابه. فقد جمع شمل الادب من شتاته وصار الحري بقول الزمخشري في ابياته

معجزة اعجز كل الورى وان سموا في ضوء مشكاته

فما الزهر في الاكمام. ولا الروض باكره الغمام. ولا الدر في الاسلاك ولا النجوم الزهر في الافلاك. بأبهى من روائع لطائفه. ولا اجمع من بدائع لطائفه. ولا احسن منه نظاما. ولا اهدى لطرق الاحسان رقة وانسجاما. ولا غرو فناسج برود. وناظم جواهر عقوده. هو الامام الذي سارت بذكره الركبان. وتهافتت على آدابه أفئدة ذوي العرفان. سحبان البلاغه. وقس البراعه. وفارس ميدان اليراعه. من قال فيه وفي كتابه هذا صاحب كشف الظنون ما نصه(التعريف بالمصطلح الشريف) لشهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفي سنة ٧٤٩ مجلد اوله الحمد لله الذي ميز مقادير الرتب الخ رتبه على سبعة اقسام الاول في رتب المكاتبات وهو يحتوي على اكثر من ١٥٠ صورة من مراسلات الامراء والملوك على اختلاف اديانهم واجناسهم والثاني في العهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم والمناشير ويحتوي على وصايا ولاة العهود ونواب السلطنة والوزراء ونواب القلاع وولاة الحرب والمجاهدين ووصايا امير مكة



صورة ما كتبته الى حضرة الاستاذ للترخيص بالطبع

حضرة استاذي العلامة الافضل الشيخ محمد عبده دام نفعه

لما كان خير الاعمال مايعود بالنفع على بني الانسان لترقيه في مدارج الكمال بما توجيه اليـه ملكة العلوم الشرعية من الهدى واتباع سواء السبيل وكنتم ممن عرف بالدأب على تمكين سنن الرشاد في العباد واحكام الاخلاق الطاهرة فى النفوس بما اوتيتموه من الحكمة العالية ومنحتموه من الفضائل السامية ٠ وان من الادلة على عملكم الصالح البار ماجاد به يراعكم من ترجمة الرسالة التي وضعها المولي الشهير والحجة الثقة الخبير فيلسوف الشرق استاذنا السـيد جمال الدين الحسيني الافغاني في ابطال مذهب الدهريين ولما كان الشيء يشرف بشرف موضوعه او بمسيس الحاجة اليه والرسالة جمعت الامرين ففازت بالشرفين فقد الح عليّ الكثير من ذوى الفطنة والعرفان في التماس طبعها من سـيادتكم ورايت اجابة طلبهم من الفروض العينية فقد سارعت بتقديم هذا الالتماس راجياً الترخيص اليّ بطبعها واعتقادي ان سيادتكم من احرص الناس على تعميم النفع وتوزيع الفائدة يجعل لي الامل الوطيد في اجابة هذا الملتمس لازلتم عضد العلوم وساعدا

كاتبه تلميذكم

عبد العليم صالح

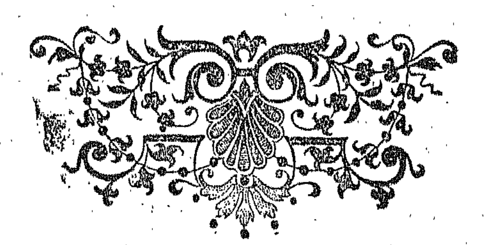
صورة ماكتبه الاستاذ حفظه الله

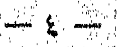
ولدنا عبد العليم افندي صالح

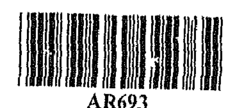
سألتني ان أذنلك في طبع ترجمة رسالة الرد على الدهريين للسيدجمال الدين الافغاني رغبة منك في تعميم نشرها فشكرت لك هذا السعي الجميل واكتب اليك هذه الاسطر ايذانا بالاذن مني لك في طبعها على شرط ان تدقق في تصحيحها وتبذل الجهد في المحافظة على جميع ماالندرج في النسخة المطبوعة في بيروت من مقدمات ومقاصد بدون حذف شيء او تغيير حرف على ان هذا الاذن لايتعداك الى غيرك فلا يجوز ان يتوسل به احدلطبعها بغير استئذان جديد ولا يتعدي هذه المره فلا يباح لك ان تطبعها مرة اخرى الا باستئذان آخر والسلام

٢٠ رجب   الامضا

سنة ١٣١٢   محمد عبده







﴿ سيرة صاحب هذه الرساله الشيخ جمال الدين الافغاني ﴾

يحملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل مارأيناه من تخالف الناس في أمره وتباعد مابينهم في معرفة حاله وتباين صوره في مخيلات اللاقفين لخبره حتى كانه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه او قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله والرجل في صفاء جوهره وزكاء مخبره لم يصبه وهم الواهمين ولم يمسسه حزر الخراصين وانا نذكر مجملاً من خبره نرويه عن كمال الخبرة وطول العشرة

هذا هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم في بلاد الافغان ينمي نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى سيدنا الحسين بن علي بن ابي طالب كرّم الله وجهه · وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة ﴿ كنر ﴾ من اعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة ايام ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الافغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادة على جزء من الاراضي الافغانية تستقل بالحكم فيه وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جد الامير الحالي وأمر بنقل ابي السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل

ولد السيد جمال الدين في قرية (اسعد آباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال ابيه الى مدينة كابل وفي السنة الثامنة من عمره اجلس

للتعلم وعني والده بتربيتـه فأيد العناية به قوة في فطرته واشراق في قريحته وذكاء في مدركته فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها · تلقى علوماً جمة برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسـية ومنزلية وتهذيبة وحكمة نظرية طبيعية والهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح · أخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فاقام بها سـنة وبضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة وأتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لأداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سـنة وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سـنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرَّ بها في سياحته واكتنه اخلاقهم وأصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ولما زحف الامير الى هراة ليفتحها ويملكها على سـلطان احمد شاه صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار الى ان توفي الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمناً طويلاً · وتقلد الامارة ولي عهدها شيرعلي خان سنة ١٢٨٠ وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته خصوصاً

من هو اكبر سناً منه ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد طلباً للاستبداد بالامارة وكان في جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة محمد اعظم ومحمد اسلم ومحمد امين وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد اعظم فلما أحسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير أسرعوا الى الفرار وتفرّقوا الى الولايات كل منهم ذهب الي ولايته التي كان يليها من قبل ابيه ليعتصم بمنعته فيها وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية وبعد مجالدات عنيفة عظم أمر محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن (الامير الحالي) وتغلبا على عاصمة المملكة وانقذا محمد افضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة وسمياه اميراً على افغانستان ثم ادركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد اعظم خان وارتفعت منزلة الشيخ جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه في العظائم وما دونها (على خلاف ماتعوده امراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم) وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد اعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته حمله على تفويض مهمات من الاعمال الى ابنائه الاحداث وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة فساق الطيش احدهم وكان حاكما في قندهار على منازلة عمه شير علي في هراة ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتي انه يظفر فينال عند ابيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته فلما تلاقي مع جيش عمه دفعته الجرأة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي واخترق بها صفوف اعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ماالتفت يعقوب خان قائد شير علي فوجد ذلك الفرّ المتهوز منقطعاً عن جيشه

فكرّ عليه واخذه اسيراً فتشتت جند قندهار وقوى الامل عند شير علي فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شيرعلي وبذلوا لها قناطير من الذهب ففرّقها في الرؤساء والعاملين لمحمد اعظم فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى (وعاد اليوم الى بلاده وهو اميرها) وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشهر في مدينة نيسابور وبقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسسه الامير بسوء احتراماً لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي الاّ انه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا رأى السيد جمال الدين خيراً له ان يفارق بلاد الافغان فاستأذن للحج فاذن له على شرط ان لا يمرّ ببلاد ايران كيلا يلتقي فيها بمحمد اعظم وكان لم يمت فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ بعد هزيمة محمد اعظم بثلاثة اشهر فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في اجلال الاّ انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها ولم تأذن للعلماء في الاجتماع عليه الاّ على عين من رجالها فلم يقم اكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند في احد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام بها نحو اربعين يوماً تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحوّل عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وصل الاستانة وبعد ايام من وصوله امكنته ملاقاة الصدر الاعظم عالي

باشا ونزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله واقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغاني قباء وكساء وعمامة بجراء وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وادبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم وبعد ستة اشهر سمي عضوا في مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة في آرائه واشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقاؤه ومن تلك الطرق ما احفظ عليه قلب شيخ الاسلام لتلك الاوقات حسن فهمي افندي لانها كانت تمس شيئاً من رزقه فارصدله العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين افندي ان يلقي فيها خطاباً للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فالح عليه تحسين افندي فانشأ خطاباً طويلا كتبه قبل القائه وعرضه على وزير المعارف وكان صفوت باشا وعلى شرواني زاده وكان مشير الضابطية وعلى دولتلو منيف باشا ناظر المعارف الحالي وكان عضوا في مجلس المعارف واستحسنه كل منهم واطنب في مدحته

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جمٌ غفير من رجال الحكومة واعيان اهل العلم وارباب الجرائد وحضر في الجمع معظم الوزراء وصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة وألقى ما كان أعدّه وارسل حسن فهمي افندي اشعة نظره في تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طلب حقاً ولكن كان الخطاب في تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حيّ وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدي من المنفعة في المعيشة ما يؤديه العضو في البدن فشبه الملك مثلا بالمخ الذي هو

مركز التدبير والارادة · والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين ومضي في سائر الصناعات والاعضاء حتى اتي على جميعها ببيان ضاف واف ثم قال هذا مايتالف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح هـذا الجسم اما النبوة واما الحكمة ولكن يفرق بينهما بان النبوة منحة الهية لاتنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالاته اما الحكمة فمما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات · وبان النبي معصوم من الخطا والحكيم يجوز عليه الخطا بل يقع فيه · وان احكام النبوات آتية على مافي علم الله لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فالاخذ بها من فروض الايمان اما آراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها الا من باب ماهو الاولي والافضل على شريطة ان لاتخالف الشرع الالهي · هذاماذكره متعلقاً بالنبوة وهو منطبق على ما اجمع عليه علماء الشريعة الاسلامية الا ان حسن فهمي افندي اقام من الحق باطلا ليصيب غرضه من الانتقام فاشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة واحتج لتثبيت الاشاعة بانه ذكر النبوة في خطاب يتعلق بالصناعة (وهكذا تكون حجج طلاب العنت) ثم اوعز الى الوعاظ في المساجد ان يذكروا ذلك محفوفاً بالتفنيد والتنديد فاهتم السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته مما رمي به ورأى ان ذلك لايكون الا بمحاكمة شيخ الاسلام (وكيف يكون ذلك) واشتدّ في طلب المحاكمة واخذت منه الحدة مبلغها واكثرت الجرائد من القول في المسألة فمنها نصراء للشيخ جمال الدين ومنها اعوان لشيخ الاسلام فاشار بعض اصحاب السيد عليه ان يلزم السكون ويغضي على الكريهة وطول الزمان يتكفل باضمحلال

الاشاعات وضعف اثرها فلم يقبل ولحّ في طلب المخاصمة تعظم الامر وآل الى صدور امر الصدارة اليه بالجلاء عن الاستانة بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء ففارق الاستانة مظلوماً في حقه مغلوباً لحدته وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في اول محرم سنة ١٢٨٨ هذا مجمل امره في الاستانة وما ذكره سليم العنحوري في شرح شعره المسمى سحر هاروت مما يخالف ذلك خلط من الباطل لاشائبة للحق فيه

مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقي صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام وأجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصري كل شهر نزلا اكرمته به لا في مقابلة عمل واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زند فاوري واستفاضوا بحره ففاض دراوحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامي وكانت مدرسته بيته من اول ما ابتدأ الى آخر ما اختتم ولم يذهب الى الازهر مدرّساً ولا يوماً واحداً نعم كان يذهب اليه زائراً واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة . عظم امر الرجل في نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائد الاخذ عنه واعجبوا بدينه وأدبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عقل الاوهام عن قوائم العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة

في مصر بسعيه وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكري وخيري باشا ومحمد بيك سيد احمد على ضعف فيه ومصطفى باشا وهبي على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء فاما ساجعون في المراسلات الخاصة واما مصنفون في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شاكلها

ومن عشر سنوات ترى كتبة في القطر المصري لايشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم واغلبهم احداث في السن شيوخ في الصناعة وما منهم الا من اخذ عنه او عن احد تلامذته او قلد المتصلين به ومنكر ذلك مكابر وللحق مدابر . هذا ماحسده عليه اقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية اخذا بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها على ان القائلين بهذا القول لم يطلقوه بل قيدوه بضعفاء العقول فصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ اما الثابتون في ايمانهم فلهم النظر في علوم الاولين والآخرين من موافقين لمذاهبهم او مخالفين فلا يزيدهم ذلك الا بصيرة في دينهم وقوة في يقينهم ولنا في ائمة الملة الاسلامية الف حجة نقوم على مانقول ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ماأودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل واذاعوا ذلك بين العامة ثم ايدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة كانوا يطرقون مجالسه فيسمعون مالا يفهمون ثم يحرفون في النقل عنه ولا يشعرون غير ان هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شانه في ارتفاع والقلوب عليه في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر حضرة خديويها المغفور له توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الان

بعض المفسدين ومنهم (مستر فيفيان) قنصل انكلترا الجنرال سعي فيه لدي الجناب الخديوي ونقل المفسد عنه ماالله يعلم انه بريئ منه حتى غير قلب الخديوي عليه فاصدر امره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه ابوتراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدرآباد الدكن وفيها كتب هذه الرسالة في نفي مذهب الدهريين ولما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دعي من حيدرآباد الى كلكتا وألزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى امر مصر وفثأت الحرب الانكليزية ثم ابيح له الذهاب الى اي بلد فاختار الذهاب الى اوربا واول مدينة صعد اليها مدينة لوندرا اقام بها اياما قلائل ثم انتقل عنها الى باريز واقام بها ما يزيد على ثلاث سنوات وافيناه في اثنائها ولما كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشئ جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية ايدها الله سألني ان اقوم على تحريرها فأجبت ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً وقد اخذت من قلوب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً مالم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه وذلك لخلوص النية في تحريرها وصحة المقصد في تحبيرها ثم قامت الموانع دون الاستمرار في اصدارها حيث قفلت ابواب الهند عنها واشتدت الحكومة الانكليزية في اعنات من تصل اليهم فيه ثم بقي بعد ذلك مقيما باوربا أشهراً في باريز واخرى في لندرا الى اوائل شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

اما مذهب الرجل فحنيفي حنفي وهو وان لم يكن في عقيدته مقلداً لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم

وله مثابرة شديدة على اداء الفرائض في مذهبه وعرف بذلك بين معاشريه في مصر ايام اقامته بها ولا يأتى من الاعمال الا مايحلّ في مذهب امامه فهو اشد من رأيت في المحافظة على اصول مذهبه وفروعه اما حميته الدينية فهي مما لايساويه فيها احد يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله

اما مقصده السياسي الذي قد وجه اليه افكاره واخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته وكل ما اصابه من البلاء اصابه في سبيله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها حتي تلحق الامة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه وللدين الحنيفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقيـة وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شؤون يطول بيانها

اما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها . لهذا الرجل سلطة علي دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له . وله قوة في حل مايعضل منها كأنه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفكك عقدها . كل موضوع يلقي اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فيأتي على اطرافه ويحيط بجميع اكنافه ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستـور منه واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع كأن ذهنه عالم الصنع والابداع وله لسن في الجدل وحذق في صناعة الحجة لايلحقه فيها احد الا ان يكون في الناس من لانعرفه وكفاك شاهداً على ذلك انه ماخاصم احداً الا خصمه ولاجادله عالم الا الزمه وقد اعترف له الاروبيون بذلك بعد

مااقر له الشرقيون وبالجملة فاني لو قلت ان ما آتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ماقدّر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

اما اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته وله حلم عظيم يسع ماشاء الله ان يسع الى ان يدنو منه احد يمس شرفه او دينه فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب فبينما هو حليم أوّاب اذا هو اسد وثاب . وهو كريم يبذل مابيده قوي الاعتماد على الله لايبالي ماتأتي به صروف الدهر عظيم الامانة سهل لمن لاينه صعب على من خاشنه طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيرًا ما كان التعجل علة الحرمان وهو قليل الحرص على الدنيا بعيد من الغرور بزخارفها ولوع بعظائم الامور عزوف عن صغارها شجاع مقدام لايهاب الموت كأنه لايعرفه الا انه حديد المزاج وكثيرًا ماهدمت الحدة مارفعته الفطنة الا انه صار اليوم في رسوخ الاطواد وثبات الافناد نخور بنسبه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لا يعد لنفسه مزية ارفع ولاعزا امنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر وبالجملة ففضله كعلمه والكمال لله وحده

أما خلقه فهو يمثل لناظره عربيًا محضًا من اهالي الحرمين فكأنما قد حفظت له صورة آبائه الاولين من سكنة الحجاز حماه الله . ربعة في طوله وسط في بنيته قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه عظيم الرأس في اعتدال عريض الجبهة في تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخم الوجنات رحب الصدر جليل في النظر هش بش عند اللقاء قد وفاه الله من كمال خلقه ماينطبق على كمال خلقه

بقي علينا ان نذكر له وصفا لو سكتنا عنه سئلنا عن اغفاله وهو انه كان في مصر يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المتنزهات العامة والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار وكان مجالسه في تلك المواضع لايخلو من الفوائد العلمية فكان بعيداً من اللغو منزهاً عن اللهو وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وارباب المقامات العالية واهل العلم وهذا الوصف ربما عده عليه بعض حاسديه لكن الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه واي غضاضة على المرء المؤمن في ان يفرج بعض همه بما اباح الله له ٠ هذا مجمل من احوال السيد جمال الدين الافغاني اتينا به دفعاً لما افتراه عليه الجاهلون ولو سلكنا في تاريخه مسلك التفصيل لادى بنا الى التطويل وانا نتبع هذا بما كتبه سليم افندي العنحوري تخطئة لنفسه فيما نقله في شرح سحر هاروت والمطلع على ما كتبناه يعلم خطأه في جل ما رواه

هذا ما نشر سليم افندي العنحوري في جريدة لسان الحال والجنة بحروفه

لايخفى اننا كنا اتينا في حاشية كتابنا (سحر هاروت) على شيء من ترجمة الحكيم الشرقي الغزير المادة السيد جمال الدين الافغاني الطائر الصيت وأبنا في عرض قصصنا لمحة مما تلقيناه عن بعض المصريين والسوريين من سوء عقيدته ووهن دينه مما كان مدعاة اسفنا وباعث استغرابنا ثم اسعدنا البخت بان التقينا هاته الايام بصديقنا المحلي بحلية الفضل الحائز قصب السبق في مضماري العقل والنقل الشيخ محمد عبده نزيل بيروت واعز اخلاء الحكيم المشار اليه فجال بيننا حديث افضى الى البحث بما يرويه عنه بعض الناس

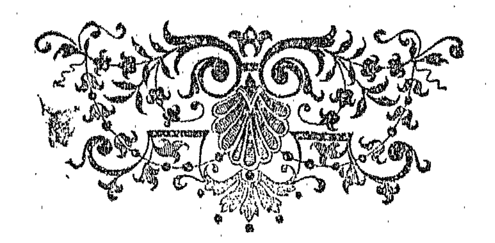
ورويناه نحن عنهم فأوضح لنا بدلائل ناهضة وبراهين داحضة ان ما تتناقله الالسن من هذا القبيل ما كان الا من آثار مارماه به بعض من غمرتهم اياديه فجازوه بالكنود يعني بهم قوماً كثيرة تزلفوا اليه فاغتر ببراقيش ألسنتهم ووطأ لهم جانب الانس سالكاً في سبيل اسعادهم كل سبيل فلما دارت عليه الدوائر وتحولت الاحوال اخذوا يتحججون بالتلمذة عليه وينسبون ما أُشربوا من الكفر اليه وبين لنا باجلى اسلوب ان المباحث التي كان يدور بها لسانه اثناء مناظراته الجدلية في بيان عقائد المعطلين كان المراد منها اظهار حقائق النحل والبدع بمعزل عن الاعتقاد بها والجنوح اليها بل مع تعقيبها بالرد عليها واقامة الحجج على بطلانها ثم تأيد المقاله هذا وقفنا على رسالة منسوجة بقلم السيد المشار اليه سوّأ بها اصحاب المبادئ المعطله من اي فريق كانوا وبين قبح طريقتهم بعبارة حنيف عريق بالاسلام نثبت منها هنا مبحثه في ضرورة اعتقاد الالوهية لسعادة الانسان

قال بعد بيان وجوه زعموها كافيةً لصلاح النوع البشري ورد مازعموا « فاذن لم يبق للشهوات قامع ولا للاهواء رادع الا الايمان بان للعالم صانعاً عالماً بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدّر للخير والشر جزاءً يوفاه مستحقه في حياة بعد هذه الحيوة السرمدية » ثم قال « فلم تبق ريبة في ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطه شيء من اباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب يكون سبباً في السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه في جواد الكمال الصوري والمعنوي ويصعد بذويه

الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلي والنفسي مايظفرهم بسعادة الدارين ﴾ ثم اتي بعد هذا في مزايا الدين الاسلامي خصوصاً بما يطول بيانه ويعلمه من اطلع على تلك الرسالة هذا كله بعد ماقال في وصف الماديين (انهم . كيفما ظهروا وفي اي صورة تمثلوا وبين اي قوم نجموا كانوا صدمةً شديدةً على بناء قومهم وصاعقةً مجتاحةً لثمار اممهم وصدعاً متفاقماً في بنية جيلهم يميتون القلوب الحيــة باقوالهم وينفثون السم في الارواح بآرائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم امةٌ ولا مني بشرهم جيــل الا انتكث فتله وتبددت آحاده وفقد قوام وجوده . ثم اطال في بيان ذلك الى حدٍ لم يبق معه محل للريبة في كمال اعتقاده وجلاء يقينه

فاخذتنا لذلك خفة الطرب وسارعنا لاذاعته بلسان الصحف شأن المؤرخ العادل وقياماً بحق الادب وضناً بفضــل هذا الرجل الخطير من ان تتناوله أَلسنة من لايعرفه خطأً وافتراءً

والله يتولى الصادقين

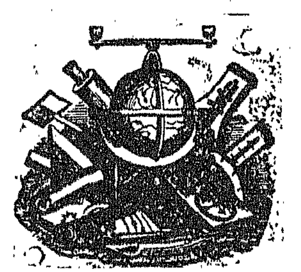


رسالة في ابطال
مذهب الدهريين

وبيان مفاسدهم واثبات ان الدين اساس المدنية
والكفر فساد العمران

من تأليف

حضرة الامام الشهير الاستاذ السيد جمال الدين الحسيني
الافغاني نفع الله بعلومه · نقلها من اللغة الفارسية
الى اللغة العربية العلامة الاستاذ
الشيخ محمد عبده افندى المصري
بمساعدة عارف افندي ابي تراب
الافغاني



ملتزم الطبع عبد العليم صالح المحامي بمصر

طبع
بمطبعة العاصمة في شارع حوش الشرقاوي بمصر سنة ١٣١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

٦٩٣

نحمد الله على الهداية · ونعوذ به من الغواية · ونصلي ونسلم على خاتم رسله · وآله وصحبه هداة سبله · وبعد فقد أتيح لي الاطلاع على رسالة فارسية في نقض مذهب الطبيعيين من تصنيف العالم الكامل · محيط المعرفة الشامل · الشيخ جمال الدين الحسيني الافغاني · اما الشيخ فله من لسان الصدق ورفيع الذكر مالا يحتاج معه الى الوصف واما الرسالة فعلى ايجازها قد جمعت لارغام الضالين وتأييد عقائد المؤمنين مالم يجمعه مطوّل في طوله وحوت من البراهين الدامغة والحجج البالغة مالم يحوه مفصل على تفصيله * دعاه الى تصنيفها حمية جاشت بنفسه ايام كان في البلاد الهندية عند مارأى حكومة الهند الانكليزية تمد في الغي جماعة من سكان تلك البلاد اغراء لهم بنبذ الاديان وحل عقود الايمان وان كثيرًا من العامة فتنوا بآرائهم وخدعوا عن عقائدهم وكثر الاستفهام منه عن حقيقة ماتدعيه تلك الجماعة الضالة وممن سأله عن ذلك حضرة الفاضل مولوي محمد واصل مدرس الفنون الرياضية بمدرسة الاعزة بمدينة حيدر آباد الدكن من بلاد الهند فاجابه الشيخ برقيم صغير يعده فيه بانشاء رسالة في بيان ما كثر السؤال عنه · وقد حداني علو الموضوع وسمو منزلة الرسالة منه

الى الاجتهاد في نقلها من لغتها الى اللغة العربية فتم لي ذلك بمساعدة عارف افندي الافغاني تابع الشيخ المؤلف ورجونا بذلك تعميم الفائدة وتكميل العائدة ان شاء الله وانا نذكر ترجمة الرقيمين مبتدئين برقيم مولوي محمد واصل وهو

١٩ محرم سنة ١٢٩٨ ﴿ بعد رسوم المخاطبة ﴾

يقرع آذاننا في هذه الايام صوت نيشر نيشر وانه ليصل الينا من جميع الاقطار الهندية فمن الممالك الغربية والشمالية و ﴿ أوده ﴾ و ﴿ بنجاب ﴾ و ﴿ بنجالة ﴾ و ﴿ السند ﴾ و ﴿ حيدار آباد الدكن ﴾ ولا تخلو بلدة اوقصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب ﴿ نيشريٌّ ﴾ ويظهر لنا ان من يعلق عليهم هذا اللقب ينمو عددهم على امتداد الزمان خصوصاً بين المسلمين ولقد سالت اكثر من لاقيت من هذه الطائفة . ما حقيقة النيشرية . وفي أي وقت كان ظهور النيشريين . وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا ان تقوّم عماد المدنية ولا تعدو هذا المقصد أو لها مقاصد اخرى . وهل طريقتهم تنافي اصول الدين المطلق او هي لا تعارضه بوجه ما . وأيُّ نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين في عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية . فان كانت هذه الطريقة من النحل القديمة فلم لم تنتشر بيننا ولم نعهد لها دعاة الا في هذه الاوقات . وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها وأي اثر يكون عن الاخذ بها

ولكن لم يفدني احد منهم عما سألت بجواب شاف كاف ولهذا

التمس من جنابكم العالي ان تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين بتفصيل ينقع الغلة ويشفي العلة والسلام اه

وهذا رقيم السيد جمال الدين الحسيني الافغاني جواباً عن الرقيم السابق محيي العزيز

النيشر اسم للطبيعة وطريقة النيشر هي تلك الطريقة الدهرية التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد ارباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع اساس الاباحة والاشتراك في الاموال والابضاع بين الناس عامة وقد كدحوا لاجراء مقصدهم هذا وبالغوا في السعي اليه وتلوّنوا لذلك في الوان مختلفة وتقلبوا في مظاهر متعددة وكيفما وجدوا في امة افسدوا أخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال

وأيما ذاهب ذهب في غور مقاصد الآخذين بهذه الطريقة تجلى له ان لانتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية. اذ لاريبة في ان الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعي ولن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة. وأوّل تعليم لهذه الطائفة اعدام الاديان وطرح كل عقد ديني

واما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سلاكها مع طول الزمن على نشأتها فسببه ان نظام الالفة الانسانية وهو من آثار الحكمة الالهية السامية كانت له الغلبة على اصولها الواهية وشريعتها الفاسدة وبهذا السر الالهي انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ومن هذا لم يسبق لهم ثبات قدم ولم تقم

لهم قائمة امر ولا في وقت من الاوقات

ولتفصيل ماذكرنا نتقدم لانشاء رسالة صغيرة ارجو ان تكون مقبولة عند العقل الغريزي لذلك الصديق الفاضل وان تنال من ذوي العقول الصافية نظرة الاعتبار

وهذه هي الرسالة

حقيقة مذهب النيشرية والنيشريين وبيان حالهم



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

الدين قوام الأمم وبه فلاحها · وفيه سعادتها وعليه مدارها ·

النيشرية جرثومة الفساد · وأرومة الأوغاد · وخراب البلاد · وبها هلاك العباد ·

شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية في هذه الايام واصبحت هذه الكلمة دائرة في المحافل سيارة في المجامع وللعامة والخاصة فيها مذاهب وهم وطرائق وهم · فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها في غفلة عن اصل وضعها لذا رأيت من الحق ان اشرح مفهومها واكشف المراد منها وارفع

الستار عن حال النيشريين من بداية امرهم وأعرض للناظرين شيئاً من مفاسدهم وما الحقوا بالنوع الانساني من المضار التي خبث اثرها وساء ذكرها مستندا في ذلك على التاريخ الصحيح آخذاً من البرهان العقلي بدليل يثبت ان هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها لم يفش رأيها في امة من الامم الا كان سبباً في اضمحلالها وانقراضها

أثبت ثقاة المؤرخين ان حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين · ذهبت احداها الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها واثبتت ان سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرّإ الذات عن التأليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه · وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الاول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت او مادية · واشتهرت هذه الطائفة · بالمتألهين ﴿الخاضعين لله﴾ ومنهم فيثاغورس وسوقراط وافلاطون وأرسطاطو ومن اهل مذهبهم كثير · وذهبت اخرى الطائفتين الى نفي كل موجود سوى المادة والماديات وأن وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لايتناول شيئاً وراءه وعرفت هذه الطائفة · بالماديين · ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها نسبه الاقدمون منهم الى طبيعتها · واسم الطبيعة في اللغة الفرنسوية ﴿ناتور﴾ وفي الانكليزية ﴿نيشر﴾ ولهذا اشتهرت

هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين · وعند الفرنساويين باسم ﴿ نتوراليسم ﴾ أو ﴿ ماتيراليسم ﴾ الاول من حيث هي طبيعية والثاني من حيث هي مادية

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد اصلهم هذا في تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات فذهب فريق منهم الى ان وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ماترى انما هو من الاتفاق واحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها واحكام نظامها لامنشأ له الا الصدفة· كأنما أدّت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجح بلا مرجح وقد أحالته بداهة العقل

ورأس القائلين بهذا القول ذيمقراطيس : ومن رأيه ان العالم اجمع ارضيات وسماويات مؤلف من اجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت اشكال الاجسام وهيئاتها بقضاء العناية المطلقة

وذهب فريق آخر الى ان الاجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه من ازل الآزال ولاتزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا ان في كل بزرة نباتا مندمجاً فيها وفي كل نبات بزرة كامنة ثم في هذه البزرة الكامنة نبات وفيه بزرة الى غير النهاية وعلى هذا زعموا ان في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيوانًا تام التركيب وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة اخرى يذهب كذلك الى غير نهاية

وغفل اصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية

في مقدار متناه وهو من المحالات الأَولية

وزعم فريق ثالث ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمة بالشخص ولكن لاشيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبزرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه مايشاكله من جرثومة وبزرة اخرى

وفاتهم ملاحظة أن كثيرا من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها وزائدها

ومال جماعة منهم الى الابهام في البيان فقالوا ان انواع النباتات والحيوانات تقلبت في اطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهودة انا واول النازعين الى هذا الرأي «ابيقور» احد اتباع «ديوجينس الكلبي» ومن مزاعمه ان الانسان في بعض اطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى مانراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يقم دليلا ولم يستند على برهان فيما زعمه من ان مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقي الانواع

ولما كشفت علوم الجيولوجيا «طبقات الارض» عن بطلان القول بقدم الانواع رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا في بحثين. الاول بحث تكوّن الجراثيم النباتية والحيوانية فذهب جماعة الى ان جميع الجراثيم على اختلاف انواعها تكونت عند ما اخذ

التهاب الارض في التناقص ثم انقطع التكوّن بانقضاء ذلك الطور الارضي وذهبت اخرى الى ان الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصاً في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية أو حيوانية خصوصاً بعد ما تبين لهم ان الحياة فاعلٌ في بسائط الجراثيم موجب لالتئامها حافظ لكونها وان قوتها الغاذية هي التي تجعل غير الحي من الاجزاء حياً بالتغذية فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم ان تلك الجراثيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس

وهو ظن عجيب لا ينطبق على اصلهم من ان الارض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تمح صورها في تلك النيران المستعرة

والبحث الثاني من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص) الى ما نراه من الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة · فمنهم قائل بان لكل نوع جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها في الاطوار الحيوية وتجتذب اليها ما يلائمها من الاجزاء الغير الحية ليصير جزءاً لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه · وقد غفلوا عما اثبته التحليل الكيماوي

من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلا وظهور تماثل النطف في العناصر البسيطة . فما منشأُ التخالف في طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها . ومنهم ذاهب الى ان جراثيم الانواع كافة خصوصاً الحيوانية متماثلة في الجوهر متساوية في الحقيقة وليس بين الانواع تخالف جوهري ولا انفصال ذاتي ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية اخرى بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية

ورأْس القائلين بهذا القول ﴿ دروين ﴾ وقد الف كتاباً في بيان ان الانسان كان قرداً ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدريج على تتالي القرون المتطاولة وبتأْثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ ﴿ أُوران أُوتان ﴾ ثم ارتقى من تلك الصورة الى اول مراتب الانسان فكان صنف اليميم وسائر الزنوج ومن هنالك عرج بعض افراده الى افق أَعلى وارفع من افق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي

وعلى زعم دروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثاً كذلك

فان سئل دروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من ازمان بعيدة لايحددها التاريخ الاظنا واصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد

فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته واشكال اوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأي فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء. اظن لاسبيل الى الجواب سوى العجز عنه.

وان قيل له هذه اسماك بحيرة أورال وبحر كسبين مع تشاركها في المأكل والمشرب وتسابقها في ميدان واحد نرى فيها اختلافاً نوعياً وتبايناً بعيداً في الالوان والاشكال والاعمال فما السبب في هذا التباين والتفاوت فلا اراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر (بالتحريك العجز عن الكلام)

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق أو الحشرات المتباينة في الخلقة المتباعدة في التركيب المتولدة في بقعة واحدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى تربة تخالف تربتها فماذا تكون حجته في علة اختلافها. كأنها تكون كسفا لا كشفا

بل اذا قيل له أيُّ هاد هدى تلك الجراثيم في نقصها وخداجها واي مرشد ارشدها الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة في عضو أداء وظيفة وايفاء عمل حيوي مما عجز الحكماء عن درك سره ووقف علماء الفسولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهادياً خبيراً لطرق جميع الكمالات

الصورية والمعنوية لاريب انه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين امواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى ابد الابدين

وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل الأوهام ومهامه الخرافات الاّ قرب المشابهة بين القردوالانسان وكانّ ما أَخذ به من الشبه الواهية الهية يشغل بها نفســه عن آلام الحيرة وحسرات العماية وانا نورد شيئاً مما تمسك به

فمن ذلك ان الخيل في سيبريا وبلاد الروسية اطول واغزر شعرا من الخيل المتولدة في البلاد العربية وانما علة ذلك الضرورة وعدمها

ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته في بقعة واحدة لوقتين مختلفين حسب كثرة الامطار وقلتها ووفور المياه ونزورها أَو هو علة النحافة ودقة العود في سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن في أَهل البلاد الباردة بما يعتري البدن من كثرة التحلل في الحرارة وقلته في البرودة

ومن واهياته ما كان يرويه (دروين) من ان جماعة كانوا يقطعون أَذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هـذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا أَذناب كانه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته . وهل صمت أُذن هـذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان الوفاً من السـنين لايولد مولود حتى يختن والى الآن لم يولد واحد منهم مختوناً الا لاعجاز

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ماتمسك به اسلافهم نبذوا آراءهم واخذوا طريقاً جديدة فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام المتقن والهيئات البديعة والأشكال المعجبة والصور الأنيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر اثره ولكن العلة في نظام الكون علويه وسفليه والموجب لاختلاف الصور والمقدّر لأشكالها وأطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة اشياء * متير * و * فورس * و * انتليجانس * اي مادة وقوة وادراك

وظنوا ان المادة بمالها من القوة وما يلابسها من الادراك تجلت وتتجلى بهذه الأشكال والهيئات وعند ماتظهر بصور الاجساد الحية نباتية كانت اوحيوانية تراعي بما لابسها من الشعور مايلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشئ لها من الاعضاء والآلات مايفي بأداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة والفصول السنوية . هذا أنفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم العاطل بعد مادخلوا الف جحروخرجوا من الف نفق وما هو باقرب الى العقل من سائر أوهامهم ولاهو بالمنطبق على سائر اصولهم فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الاجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيسية . ولا ينطبق رأيهم الجديد في علة النظام الكوني على رأيهم في تركب الأجسام

وذلك لانه يلزم على القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيسي شعور خاص كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن

سائر الأجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء

وبعد هذا فاني سائلهم كيف اطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء وبأية آلة أفهم كل منها باقيها ما ينويه من مطلبه واي برلمان ❁ مجلس الشورى ❁ او اي سنات ❁ مجلس الشيوخ ❁ عقدت للتشاور في ابداع هذه المكوّنات العالية التركيب البديعة التأليف وأنى لهذه الاجزاء ان تعلم وهي في بيضة العصفور ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الحبوب فمن الواجب أن يكون له منقار وحوصلة لحاجته في حياته اليها واذا كانت في بيض الشاهين والعقاب فمن أين لها العلم بأنها تقوّم طيرًا يأكل اللحوم فلا بدّ له من منسر ومخلاب يصول بهما في الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله

ومن أين لها ان تعلم وهي في مشيمة الكلبة انها ستكون على صورة أنثى الجرو ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ثم تكون حبلى لوقت من الاوقات وقد تلد أجراء متعددة في زمن واحد فهي تهيئ لطبيها حلمات كثيرة على حسب حاجة أجرائها

ومن لهذه الاجزاء المتبدّدة ان تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الاعضاء والجوارح . لو عقلت هذه الطائفة ما رمي اليه سؤالي هذا لارتكست في افكارها وانقلبت الى تيهور من الحيرة لا ترفع منه رأسًا ولا تحير جوابًا الا ان يتخبطهم شيطان الجهل فيقولون

ولا يعون إن لكل جزء من هذه الاجزاء الديمقراطيسية علماً بجميع ما كان وما يكون وبجميع ما في العالم من الاجزاء علوياً كان او سفلياً ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون واركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريده من المصلحة حتى لا يقع الخلل في شيء من نظم العالم عاماً كان او خاصاً وبهذا قام العالم على ناموس واحد

فان افضت بهم العماية الى هـذا القول قلنا اولاً يلزمهم ان كل جزء ديمقراطيسي يحتوي على ابعاد غير متناهية وهو في صغره لا يدرك ولا بالمكرسكوب * النظارة المعظمة * وبيان اللزوم ان العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم وهو ماديٌّ في موضوعنا فكل صورة معلومة تأخذ منه بعداً بمقدارها والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرتسم في مادة الجزء العالم فيكون في كل جزء وهو متناه الى غاية الصغر أبعاد غير متناهية للصور الغير المتناهية وهذا مما تبطله بداهة العقل

وثانياً ان كانت الاجزاء الديمقراطيسية بالغة من العلم هـذا المبلغ وهي من القوة على نحوه اذ لا قوة الا بها على رأيهم فلم لم تبلغ الكائنات وهي هي غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بذواتها الآلام والاوصاب ثم تعاني العناء في احتمالها او التخلص منها ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات وهو عين ادراك هذه الاجزاء على هـذا المذهب عن اكتناه حالها انفسها وعجز عن حفظ حياتها

وأعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعد ما صافحوا كل

خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا الى الحيرة في بعض الامور فلم يستطيعوا تطبيقها على اصل من اصولهم الفاسدة لا اصل الطبع ولا اصل الشعور وذلك عند ما رأوا شيئين يختلفان في الخواص وعناصرها تظهر عند التحليل متماثلة ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ما قدموا من الترهات الا بالحكم على الاجزاء الديمقراطيسية رجماً بالغيب بانها ذوات اشكال مختلفة وعلى حسب الاختلاف في الاشكال والاوضاع كان الاختلاف في الآثار والخواص

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكرو الالوهية الزاعمون ان لا وجود للصانع الاقدس وهم المعروفون بين شيعهم او عند الالهيين بالطبيعين والماديين والدهريين وان شئت قلت نيشريين وناتوراليسميين وماتيراليسميين وسنأتي على تفصيل مذاهبهم ودحض حججها بالبينات العقلية في رسالة اوسع من هذه ان شاء الله تعالى

ولا يظنن ظانٌّ انا نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً بهؤلاء (البياجوات) الهنديين (البياجو اسم ايطالياني اشتهر في الهند لمن يقلد الماهر في اللعب بحركات غير متسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه في العربية بالخلابيس واصله الشيء لا نظام له والطبيعيون في الهند يمثلون احوال الدهريين في اوربا تمثيلاً مضحكاً) كلاّ ان هؤلاء لا نصيب لهم من العلم بل ولا من الانسانية فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض . نعم لو أُريد انشاء تياترو ※ ملهي ※ او ※ كطبتلي ※

﴿ نوع من اللعب يشخصون فيه احوال ملوك الهند الاقدمين ﴾ لتمثل فيه احوال الامم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء لاقامة هذه الألاعيب وانما غرضنا الاصلي اعلان الحق واظهار الواقع والآن نعتمد الشروع في بيان المفاسد التي جلبها الماديون ﴿ النيشريون ﴾ على نظام المدنية والمضار التي تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشاؤها فشوّ افكارهم

﴿ مظاهر الماديين ومقاصدهم ﴾

تخالفت مظاهر الماديين في الامم والاجيال المختلفة فتخالفت اسماؤهم فكانوا تارة يسمون انفسهم بسمات الحكما وينتحلون الحكيم لقباً لافرادهم . واحياناً كانوا يتسمون بسيما دافع الظلم ورافع الجور . وكثيراً ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عرّاف الاسرار وكشفة الحقائق والرموز والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ومن كل بارز الى كامنه وقد كانوا يظهرون في اوقات بدعوى السعي في تطهير الاذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات . وتارات يتمثلون في صور محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاّب خير المساكين . وكثر ما تجرأوا على دعوى النبوة ولكن لاعلى سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلاً لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم

كيفما ظهر الماديون وفي اية صورة تمثلوا وبين ايّ قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار اممهم وصدعا متفاقما في بنية جيلهم يميتون القلوب الحية باقوالهم وينفثون السم في الارواح

بآرائهم و يزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فما رزئت بهم امة ولا مني بشرّهم جيل الاّ انتكث فتله وسقط عرشه وتبددت آحاد الامة وفقدت قوام وجودها

كان الانسان ظلوماً جهولاً · خلق الانسان هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مســه الخير منوعاً · جبل الانسان على الحرص وكأنه منهوم لشرب الدماء · لم يحرم الانسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين وجوده فتمسك الناس منه باصول وانطبعوا به على خصال توارثها الابناء عن الآباء في قرون بعــد قرون ومهما غيروا وبدّلوا كانت بقايا ماورثوه لاتزال تشرق على عقولهم بانوار من المعرفة يهتدون بها الى سعادتهم ويقيمون في ضوئها اساس مدنيتهم ولم يبطل اثرها في تعــديل اخلاقهم وكف ايديهم عن التطاول الى الشرور والمفاسد وبهذا كان للاقدمين من اهل القرون الاولى ما كان لهم من نوع الثبات والبقاء

وطائفــة النيشرية كلما ظهرت في امة سعت في قلع تلك الاصول وافساد تلك الخصال حتى اذا لمع لها بارق من النجاح وهت اركان الامة وانهارت الى هوّاءة الاضمحلال والعدم وهذه الطائفة هي الآن كما كانت تسلك منهج أسلافها الاولين وانا نوضح ذلك بمجمل من البيان

﴿ ماافاد الدين من العقائد والخصال ﴾

اكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد واودع نفوسهم ثلاث خصال كل منها ركن لوجود الامم وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية واساس

محكم لمدنيتها وفي كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقي الى ذري السعادة ومن كل واحدة وازع قوي يباعد النفوس عن الشر ويزعها عن مقارفة الفساد ويصدها عن مقاربة ما يبيدها ويبددها

﴿العقيدة الاولى﴾ التصديق بان الانسان ملك ارضي وهو أشرف المخلوقات ﴿والثانية﴾ يقين كل ذي دين بان امته اشرف الامم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل ﴿والثالثة﴾ جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع واوسع من هذا العالم الدنيوي والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة ان تسمى بيت الاحزان وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات لا تنقضي سعادتها ولا تنتهي مدتها

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة في الاجتماع البشري والمنافع الجمة في المدنية الصحيحة وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم وما لكل واحدة من الدخل في بقاء النوع والميل بافراده لان يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والموادعة والاخذ بهم الامم للصعود في مراقي الكمال النفسي والعقلي

من البين ان لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها . فمما يلزم الاعتقاد بان الانسان اشرف المخلوقات ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوي الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات في صفاتها وكلما اشتد

هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلي وكلما سما عقله اوفى على المدنية واخذ منها باوفر الحظوظ حتى قد ينتهي به الحال الى ان يكون واحداً من اهل المدنية الفاضلة يحيى مع اخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة واصول العدالة وتلك نهاية السعادة الانسانية في الدنيا وغاية مايسعى اليه العقلاء والحكماء فيها

فهذه العقيدة اعظم صارف للانسان عن مضارعة الحمر الوحشية في معيشتها والثيران البرّية في حالتها ومضاربة البهائم السائمة والدواب الهاملة والهوام الراشحة لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية ولا تهتدي طريقاً لحفظ حياتها وتقضي آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد

هذه العقيدة أشدُّ زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدي لافتراس بعضهم بعضاً كما يقع بين الاسود الكاسرة والوحوش الضاريه والكلاب العاقرة واشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات وهذه العقيدة أحمى حادٍ للفكر في حركاته وانجح داع للعقل في استعمال قوته واقوى فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل

إن شئت فارم بنظر العقل الى قوم لايعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل والى أيِّ حدٍّ تصل بهم الشرور وبأيِّ منزلة من الدناءة تكون نفوسهم وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم

عن الحركات الفكرية

ومن خواص يقين الأمة بانها اشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل ان ينهض آحادها لمكاثرة الامم في مفاخرها ومساماتها في مجدها ومسابقتها في شرائف الامور وفضائل الصفات وان يتفق جميعها على الرغبة في فوت جميع الامم والتقدم عليها في المزايا الانسانية عقلية كانت او نفسية ومعاشية كانت او معادية وتأبى نفس كل واحد عن إعطاء الدنية والرضى بالضيم لنفسه او لاحد من بني أُمته ولا يسره ان يرى شيئاً من العزة او مقاماً من الشرف لقوم من الاقوام حتى يطلب لأُمته افضله واعلاه . ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى ابناء قومه أليق واجدر بكل مايعدُّ شرفاً انسانياً

فان جارت صروف الدهر على قومه فأضرعتهم او ثلمت مجدهم او سلبتهم مزية من مزايا الفضل لم تستقر له راحة ولم تنشأ له حمية ولم يسكن له جيشان فهو يمضي حياته في علاج ماألمَّ بقومه حتى يأسوه او يموت في أساه

فهذه العقيدة اقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية وأمضى الاسباب بها الى طلب العلوم والتوسع في الفنون والابداع في الصنائع وانها لأبلغ في سوق الامم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل

وان اردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من

فتور في حركات آحادهم نحو المعالي وماذا ترى من قصور في هممهم عن درك الفضائل وماذا ينزل بقواهم من الضعف وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة والى أيّ هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصاً اذا بغي عليهم الجهل فظنوا انهم ادني من سائر الملل كطائفة « الدّهير » و « مانك »

ومن مقتضيات الجزم بأن الانسان ماورد هذا العالم الا ليتزود منه كمالاً يعرج به الى عالم ارفع ويرتحل به الى دار اوسع وجناب أمرع ليرع واديه وتجني حلبه أنَّ من أُشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية خشية ان يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطالبه ثم ينصرف همه لابراز ماأودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقت له فينجلي كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ويرتقي من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكباً عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة معرضاً عن ابواب الرشوة مترفعاً عن الملق الكلبي والخداع الثعلبي ثم ينفق ما كسب في الوجه الذي يليق وعلى الوجه الذي ينبغي وبالقدر الذي ينبغي لايأتي فيه باطلاً ولا يغفل حقاً عاماً او خاصاً

فهذه العقيدة احكم مرشد واهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة

المؤسسة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة وهذا الاعتقاد اشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التي لاعماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه والقيام على صراط العدل المستقيم. هذا الاعتقاد انجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم اذ لاعقد لها الا مراعاة الصدق والخضوع لسلطان العدل في الوقوف عند حدود المعاملات. هـذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية تهب على القلوب ببرد الهدون والمسالمة فان المسالمة ثمرة العدل والمحبة والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة وهي غراس تلك العقيدة التي تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور وتنجيه من متائه الشقاء وتمامة الجد وترفعه الى غرف المدنية الفاضلة وتجلسه على كرسي السعادة

وقد يسهل عليك ان تتخيل جيلاً من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشره والغـدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة عن نور المعرفة

﴿ الخصال الثلاث ﴾

وأما الخصال الثلاث التي توارثتها الأمم من تاريخ قدلا يحدُّ قدماً وانما طبعها في نفوسهم طابع الدين (فاحداها خصلة الحياء) وهو انفعال النفس من إتيان مايجلب اللائمة وينحي عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصاً وفي الحق أن يقال إن تأثير هذه الخلة في حفظ

نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع اشد من تأثير مئين من القوانين وآلاف من الشرط والمحتسبين فان النفوس اذا مزقت حجاب الحياء وسقطت الى حضيض الخسة والدناءة ولم تبال بما يصدر عنها من الاعمال فأيُّ عقاب يردعها عن المفاسد التي تخل بنظام الاجتماع سوى القتل وقد لاحظ ذلك ﴿ سولون ﴾ حكيم اليونان حيث جعل القتل جزاء كل عمل قبيح حتى الكذبة الواحدة

وخلة الحياء يلازمها شرف النفس وهو مما تدور عليه دائرة المعاملات وتتصل به سلسلة النظام وهو مناط صحة العقود والتزام أحكامها وهو معتصم الوفاء بالعهود وهو رأس مال الثقة بالانسان في قوله وعمله وشيمة الحياء هي بعينها شيمة الاباء وسجية الغيرة وانما تختلف اسماؤها باختلاف جهاتها وآثارها في ردع النفس عن شيء او حملها على عمل والاباء والغيرة هما مبعث حركات الامم والشعوب لاستفادة العلوم والمعارف وتسنم قمم الشرف والرفعة وتقوية الشوكة وبسط جناح العظمة وتوفير مواد الغنى والثروة

وكل أمة فقدت الغيرة والاباء حرمت الترقي وإن تسنىَّ لها من اسبابه ماتسني فهي تعطي الدنية ولا تأنف من الخسة وتضرب عليها الذلة والمسكنة حتي ينقضي أجلها من الوجود . ملكة الحياء تنتهي اليها روابط الالفة بين آحاد الامة فى معاشراتهم ومخالطاتهم فان حبال الألفة انما يحكمها حفظ الحقوق والوقوف عند الحدود ولا يكون ذلك الا بهذه

الملكة الكريمة . هذه سجية تزين صاحبها بالآداب وتنفر به عن الشهوات البهيمية وتفيض روح الاعتدال على حركاته وسكناته وجميع أعماله هذا هو الخلق الفرد الذي ينهض بصاحبه لمجاراة ارباب الفضائل و يتجافي به عن مضاجع النقائص ويأنف به عن الرضاء بالجهل والغباوة او الضعة والضراعة . هذا الوصف الكريم هو منبت الصدق ومغرس الامانة وهما معه في قرن . هذا الوصف هو آلة المعلمين والقائمين على التربية والدعاة لمكارم الاخلاق والمولعين بترقية الفضائل صورية ومعنوية يستعملونها في نصائحهم يذكرون بها الغافل ويحرضون الناكل و يوقظون النائم و يقعدون القائم ألا ترى المعلم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله ألا تستحي من تقدم قرينك عليك وتخلفك عنه فان لم تكن هذه الخصلة فلا أثر للتوبيخ ولا نفع للتقريع ولا نجاح للدعوة فانكشف مما بينا أن هذه الخلة مصدر لجميع الطيبات ومرجع لكل فضيلة وسلم لكل ترقٍ

ويمكن لنا ان نفرض قوماً هجر الحياء نفوسهم فماذا نرى فيهم سوى المجاهرة بالفحشاء والمنافسة في المنكر وشوس الطباع وسوء الاخلاق والاخلاد الى دنيات الامور وسفاسف الشؤون وكفى بمشهدهم شناعةً أن نرى تغلب الشهوات البهيمية عليهم وتملك الصفات الحيوانية لاراداتهم وتسلطها على افعالهم

﴿ والخصلة الثانية الامانة ﴾ من المعلوم الجلي أن بقاء النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال وروح المعاملة

والمعاوضة انما هي الأمانة فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة فاختل نظام المعيشة وافضي ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل

ثم من البين أن الامم في رفاهتها والشعوب في راحتها وانتظام امر معيشتها محتاجة الى الحكومة بأيّ أنواعها اماجمهورية او ملكية مشروطة او ملكية مقيدة والحكومة في أي صورها لاتقوم الا برجال يلون ضروباً من الاعمال فمنهم حرّاس على حدود المملكة يحمونها من عدوان الاجانب عليها ويدافعون الوالج في ثغورها وحفظة في داخل البلاد يأخذون على ايدي السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ويميل الى الاعتقاد من فتك اوسلب او نحوهما ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الاحكام لفصل الخصومات والحكم في المنازعات ومنهم اهل جباية الاموال يحصلون من الرعايا مافرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها في ذلك ثم يستحفظون مايحصلون في خزائن المملكة وهي خزائن الرعايا في الحقيقة وان كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال في المنافع العامة للرعيـــة مع مراعاة الاقتصاد والحكمة كانشاء المدارس والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر واقامة الجسور واعداد المستشفيات ويؤدي ارزاق سائر العاملين في شؤون الحكومة من الحراس والحفظة وقضاة العدل وغيرهم حسبما عين لهم وهذه الطبقات من رجال الحكومة الوالين على اعمالها انما تؤدي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الامانة

فان خزيت امانة اولئك الرجال وهم اركان الدولة سقط بناء السلطة وسلب الأمن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق المحكومين وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة وتفتحت عليهم ابواب الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة وعميت على الدولة سبل النجاح فان حزبها أمر سدّت عليها نوافذ النجاة ولا ريب ان قوماً يساسون بحكومة خائنة إما أن ينقرضوا بالفساد واما ان يأخذهم جبروت أمة اجنبية عنهم يسومونهم خسفاً ويستبدون فيهم عسفاً فيذوقون من مرارة العبودية ماهو اشد من مرارة الانقراض والزوال

ومن الظاهر ان استعلاء قوم على آخرين انما يكون باتحاد آحاد العالين والتئام بعضهم ببعض حتي يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو للبدن ولن يكون هذا الاتحاد حتي تكون الامانة قد ملكت قيادهم وعمت بالحكم افرادهم

فقد كشف الحق ان الامانة دعامة بقاء الانسان ومستقر اساس الحكومات وباسط ظلال الأمن والراحة ورافع ابنية العز والسلطان وروح العدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها

واليك الاختيار في فرض امة عطلت نفوسها من حلية هذه الخلة الجليلة فلا تجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة وفقراً معوزاً وذلاً مجزاً ثم لاتلبث بعدهذا كله ان تبتلعها بلاليع العدم وتلتهمها امهات لهيم

﴿ الخصلة الثالثة الصدق ﴾ الانسان كثير الحاجات غير معدود الضرورات وكل مايسد حاجاته ويدفع ضروراته وراء ستر الخفاء محجوب وتحت حجاب الغيب مكنون . قذف بالانسان من غيب يجهله الى ظهور لايعرفه فقام في بداءِ نشأته في زاوية عماء لايذكر اسما ولايعهد رسما . هذا الانسان على ضعفه كانما أحفظ الاكوان قبل وجوده فارصدت له القتال وهيأت له النضال فله في كل مثناة منها كامنة بلية وفي كل حنو رابضة رزية وكلُّ افاق سهمه في قسيّ الادوار الزمنية ليصيب مقاتل الانسان

منح الانسان خمسة مشاعر السمع والبصر والذوق واللمس ولكن لاغناء بها في هدايته لاقرب حاجاته وارشاده لدفع ماخف من ضروراته فأحجى ان لاكفاء لها في استطلاع مكامن البلايا واكتشاف مخابئ الرزايا ليأخذ حذره ويحرز امره فهو في حاجة كل الحاجة للاستعانة بمشاعر امثاله من بني جنسه والاستهداء بمعارفهم ليتفادى بهدايتهم من بعض لاسعات المصائب ويصيب من الرزق مافيه قوام معيشته وسداد عوزه والاستهداء انما يكون بالاستخبار ولا تتم فائدة الخبر في الهداية الا ان يكون من مصدر صدق يحدث عن موجود ويحكي عن مشهود والا فما الهداية في خبر لاواقع له

نعم الكاذب يرى البعيد قريباً والقريب بعيداً ويظهر النافع في صورة الضار والضار في صورة النافع فهو رسول الجهالة وبعيث الغواية وظهير الشقاء ونصير البلاء

فعلى ماتقدم تكون صفة الصدق ركناً ركيناً للوجود الانساني وعماداً للبقاء الشخصي والنوعي وموصل العلائق الاجتماعية بين آحاد الشعوب ولا تتحقق ألفة مدنية أو منزلية بدونه

وانظر فيما اذا فقدت امة خلة الصدق كيف ينيخ الشقاء بهارواحله وينفذ سوء البخت فيها عوامله وكيف ينتثر نظامها ويفسد التئامها

﴿تفصيل غايات النيشر يين﴾

هؤلاء جحدة الالوهية في أي أمة وبأي لون ظهروا كانوايسعون ولا يزالون يسعون لقلع اساس هذا القصر المسدس الشكل . قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران ثلاث عقائد وثلاث خصال . اعاصيرافكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتاتي بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط به من عرش المدنية الانسانية الى ارض الوحشية الحيوانية

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها اوهاماً باطلة ومجعولات وضعية وبنوا على هذا ان لاحق لملة من الملل ان تدعي لنفسها شرفاً على سائر الملل اعتماداً على اصول دينها بل الاليق بها على رأيهم ان تعتقد انها ليست اولى من غيرها بفضيلة ولا اجدر بمزية ولا يخفى مايتبع هذا الرأي الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد المعالي كما تقدم بيانه

قالوا ان الانسان في المنزلة كسائر الحيوانات وليس له من المزايا مايرتفع به على البهائم بل هو اخس منها خلقة وادني فطرة فسهلوا بذلك

على الناس اتيان القبائح وهوّنوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق البهيمية ورفعوا عنهم معايب العدوان

ذهبوا الى انه لاحياة للانسان بعد هذه الحياة وانه لا يختلف عن النباتات الارضية تنبت في الربيع مثلاً وتيبس في الصيف ثم تعود ترابًا والسعيد من يستوفي في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية وبهذا الرأي الفاسد اطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الى انواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع في كل رذيلة واعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشريّ واعدموها الرغبة في كشف الحقائق وتعرُّف اسرار الطبيعة

هذا الوباء المهلك والطاعون الجتاح * أعني النيشريين * لا يصيب اهل الحياء لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم وابائها عن وضع اقدامها في منازل الحيوانية المحضة وانفتها من الاشتراك في الاموال والابضاع واباحة التناول مما يختص بالغير منها

ولهذا عمد هؤلاء المفسدون الى خلة الحياء ليزيلوها او يضعفوها فقالوا ان الحيا من ضعف النفس ونقصها فاذا قويت النفوس وتم لها كمالها لم يغلبها الحياء في عمل ما كائنًا ما كان . فمن الواجب الطبيعي * في زعمهم * ان يسعى الانسان في معالجة هذا الضعف * الحياء * ليفوز بكمال القوة * قلة الحياء * وبهذه الدسيسة يخلطون بين الانسان والهمل ويمزجونه بالماشيات من النعم ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب

والانعام من اباحة كل عمل والاشتراك في كل شهوة ويهونون عليه اتيان ماتأتيه في نزواتها

ولا يخفى ان الامانة والصدق منشأوهما في النفس الانسانية امران الايمان بيوم الجزاء وملكة الحياء وقد ظهر ان من اصول مذاهب هذه الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم في اذاعة الخيانة وترويج الكذب اشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب . فان منشأ الفضيلتين ما دام في النفس اثر منه يبعثها على مقاومة الداعي الى الرذيلتين فيضعف اثر دعوته والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ان سقط في الخيانة او الكذب مرة وجد من نفسه زاجراً عنهما مرة اخرى أما لو محي الايمان والحياء وهما منشأ الصدق والامانة من لوح النفس فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضديهما

ويزيد في شناعة ماذهبوا اليـه ان في اصولهم الاباحة والاشتراك المطلقين فيزعمون ان جميع المشتهيات حق شائع والاختصاص بشيء منها يعد اغتصاباً كما سيذكر فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ومثلها الكذب . فانه يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب ﴿في زعمهم﴾ فلا يعد ارتكاباً للقبيح . لاجرم ان آراء هذه الطائفة مروجة للخيانات باعثة على افتراء الاكاذيب حاملة بالانفس على ارتكاب الشرور والرذائل واتيان الدنايا والخبائث وإن أمة تنشو فيها هذه الخوالق الجديرة بالفناء جالية عن باحة البقاء . فقد انكشف الخفاء بما بينا عن فساد

مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الامم والشعوب الى مهاوي الهلكة والدمار

واقول انها من اشد الاعداء للنوع الانساني كافة فان ماهاج في رؤس ابنائها من الماليخوليا يخيل لهم ان الاصلاح فيما يزعمون ويصور لهم حقيقة النجاح في صور ما يتوهمون فيبعثهم هذا الفساد لايقاد النار في بيت هذا النوع الضعيف ليمحوا بذلك رسمه من لوح الوجود . فان من الظاهر عند كل ذي ادراك ان افراد هذا النوع يحتاجون في بقائهم الى عدة صنائع لو لم تكن اهلكتهم حوادث الجو واعوزهم القوت الضروري والصنائع المحتاج اليها تختلف اصنافها وتتفاوت درجاتها فمنها الخسيس والشريف ومنها السهل ومنها الصعب وهذه الطائفة النيشرية تسعى لتقرير الاشتراك في المشتهيات ومحو حدود الامتياز ودرس رسوم الاختصاص حتى لا يعلو احد عن احد ولا يرتفع شخص عن غيره في شيء ما ويعيش الناس كافة على حد التساوي لا يتفاوتون في حظوظهم . فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح في سعيها هذا ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الى الاخذ بالاسهل والافضل فلا تجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ولا من يتعاطى الحرف الخسيسة طلباً للمساواة في الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة وتعطلت المعاملات وبطلت المبادلات وافضى الى تدهور هذا النوع في هوة الهلاك نعم ان افكار المصابين بالماليخوليا لا تنتج احسن من هذه النتيجة . ولو فرضنا محالاً وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء فلا ريب

ان تمحى جميع المحاسن وضروب الزينة وفنون الجمال العملي ولا يكون لبهاء الفكر الانساني أثر وينفقد الانسان كل كمال ظاهر او باطن صوري او معنوي ويعطل من حلي الصنائع وتغرب عنه انوار العلم والمعرفة ويصبح في ظلام جهل وبلاء ازل وينقلب كرسي مجده وينثل عرش شرفه ويصحر في بادية الوحشية كسائر انواع الحيوان ليقضي فيها اجلاً قصيراً مفعما بضروب من الشقاء محاطاً بانواع من المخاوف محشواً باخلاط من الاوجال والاهوال . فان المبدأ الحقيقي لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة في الامتياز فهما الحاملان على المنافسة السائقان الى المباراة والمسابقة فلو سلبتهما افراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالي الامور واغمضت العقول عن كشف اسرار الكائنات واكتناه حقائق الموجودات وكان الانسان في معيشته على مثال البهائم البرية ان امكن له ذلك وهيهات هيهات

﴿ مسالك النيشريين في طلب غاياتهم ﴾

سلكوا مخالج من الطرق لبث اوهامهم الفاسدة . فكانوا اذا سكنوا الى جانب أمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال . واذا ازعجتهم سطوة العدل اخذوا طريق الرمز والاشارة وكنوا عما يقصدون ولوحوا الى ما يطلبون ومشوا بين الناس مشية التدليس

وتارة كانوا يحملون على اركان القصر المسدس ليصدعوها بجملتها في آن واحد واخرى كانوا يعمدون الى بعضها اذا رأوا قوة المانع دون

سائرها فيجعلون ماقصدوا منها مرمى انظارهم ويكدحون لهدمه بما استطاعوا من حول وقوة . وقد تلجئهم الضرورة الى البعد عن الاركان الستة باسرها فلا يأتون بما يمسها مباشرة ولكنهم يدأبون لابطال لوازمها او ملزوماتها ليعود ذلك بابطالها . وقد يكتفون بانكار الصانع جلّ شانه وجحد عقائد الثواب والعقاب ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين علما منهم بان فساد هاتين العقيدتين « الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب والعقاب » لامحالة يفضي الى مقاصدهم ويؤدي الى نتيجة افكارهم . وكثيرًا ماسكتوا عن ذكر المبادي وسقطوا على ذات المقصد وهو الاباحة والاشتراك واخذوا في تحسينه وتزيينه واستمالة النفوس اليه . وقد يزيدون على الدعوة الاقناعية باي وجوهها عملاً جاهليا تانف منه الطباع وتأباه شرائع الانسانية ذلك ان ياخذوا معارضيهم بالغدر والاغتيال فكثيرا مافتكوا بآلاف من الارواح البريئة واراقوا سيولا من الدماء الشريفة بطرق من الحيل وضروب من الختل

« ضرر مذاهب النيشريين حتى بعقول من لايأخذ بها »
— اذا خالطهم —

متي ظهر النيشريون في أمة نفذت وساوسهم في صدور الاشرار من تلك الأمة واستهوت عقول الخبثاء الذين لايهمهم الا تحصيل شهواتهم ونيل لذاتهم من أي وجه كان لموافقة هذه الآراء الفاسدة لاهوائهم الخبيثة فيميلون معهم الى ترويج مشرب النيشري واذاعته بين العامة غير

ناظرين الى مايكون من اثره . ومن الناس من لايساهمهم في آرائهم ولا يضرب في طرقهم الا أنه لايسلم من مضارها ومفاسدها فان الوهن يلم باركان عقائده والفساد يسري لاخلاقه من حيث لايشعر حيث ان اغلب الناس مقلدون في عقائدهم منقادون للعادة في اخلاقهم واقل التشكيك وادنى الشبهة يكفي علة لزعزعة قواعد التقليد وضعضعة قوائم العادة . وان هؤلاء النيشربين بما يقذفون بين الناس من اباطيلهم يبذرون في النفوس بزور المفاسد فلا يلبث ان تنمو في تراب الغفلة فتكون ضريعاً وزقوماً

ولهذا قد يعم الفساد افراد الامة التي تظهر فيها هذه الطائفة وكل لايدري من اي باب دمر الفساد على قلبه فتشيع بينهم الخيانة والغدر والكذب والنفاق ويهتكون حجاب الحياء وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشرية يأتون مايأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تحرج وكل منهم وان كان يدعي باسانه انه مؤمن بيوم الجزاء وفي نفسه ان ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه الا ان عمله عمل يعتقد أن لا حياة بعد هذه الحياة لسريان عقائد النيشربين الى قلبه وهو في غفلة عن نفسه فلهذا تغلب عليهم الاثرة وهو افراط الشخص في حبه لنفسه الى حد لو عرض في طريق منفعته مضرة كل العالم لطلب تلك المنفعة وان حاق الضرر بمن سواه . ومن لوازم هذه الصفة ان صاحبها يؤثر منفعته الخاصة على المنافع العامة ويبيع جنسه وأمته بابخس الاثمان بل لايزال به الحرص على هذه الحياة الدنيئة يبعث فيه الخوف ويمكن فيه الجبن حتي يسقط به في هاوية الذل ويكتفي من

الحياة بمدّها وان كانت مكتنفة بالذلة محاطة بالمسكنة مبطنة بالعبودية فاذا وصلت الحال في أُمة الى أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الالتئام وانعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها وهجرت الوجود كما هجرها

﴿ بيان الامم التي خنعت للذل وضرعت للضيم بعد العزة والشرف ﴾
بما افسد فيهم النيشريون (الدهريون)

شعب ﴿ الكريك ﴾ اي اليونانيون كانوا قوماً قليلي العدد وبما الهموا او ورثوا من العقائد الثلاث خصوصاً عقيدة ان امتهم اشرف الامم وبما اودعوا من الصفات الثلاث خصوصاً صفة الانفة والاباء وهي عين الحياء ثبتوا احقاباً في مقاومة الامة الفارسية وهي تلك الامة العظيمة التي كانت تمتد من نواحي كشغر الى ضواحي استنبول ذلك فوق مابلغوه من الدرجات العالية في العلوم الرفيعة وقد حملهم الخوف من الذل والانفة من العبودية على الثبات في مواقف الابطال بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال حذرا من الوقوع فيما لا يليق بارباب الشرف وابناء المجد حتى آل بهم الامر أن تغلبوا على تلك الدولة العظيمة ﴿ دولة فارس ﴾ وهدموا اركانها ومدوا ايديهم الى الهند . وكانت صفة الامانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجحون الموت على الخيانة . كما تراه في قصة ﴿ تيمستركليس ﴾ . وهو قائد يوناني نبذه ابناء جلدته وطردوه وارصدوا له القتل فاضطر للفرار من ايديهم والتجأ الى ﴿ ارتكزيكسيس ﴾ ملك

فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان امره ارتكزيكسيس ان يتولى قيادة جيش لحرب اليونان فأبي ان يحارب أُمته وان كانت طردته فلما الح عليه الملك الفارسي ولم يجد محيصاً تناول السم ومات أنفة من خيانة بلاده . راجع تاريخ اليونان .

ظهر ابيقور الدهري واتباعه الدهريون في بلاد اليونان متسمين بسيما الحكماء وانكروا الالوهيــة ﴿ وانكارها اشدُّ المنكر ومنبع كل وبال وشر كما يأْتي بيانه ﴾ ثم قالوا مابال الانسان معجب بنفسه مغرور يشأْ نه يظن ان الكون العظيم انما خلق خدمة لوجوده الناقص ويزعم انه اشرف المخلوقات وانه العلة الغائية لجميع المكوّنات . مابال هــذا الانسان قاده الحرص بل الجنون والخرق الى اعتقاد ان له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة ابدية ينقل اليها بعد الرحلة من هذه الدنيا ويتمتع فيها بســعادة لايشوبها شقاء ولذة لايخالطها كدر . ولهذا قيد نفسه بسلاســل كثيرة من التكاليف مخالفاً نظام الطبيعة العادل . وســد في وجه رغبته ابواب اللذائذ الطبيعية وحرم حسه كثيراً من الحظوظ الفطرية مع انه لايمتاز عن سائر الحيوانات بمزية من المزايا ســفي شأْن من الشؤن بل هو ادنى واسفل من جميعها في جبلته وانقص من كلها في فطرته وما يفتخر به من الصــنائع فانما اخذه بالتقليد عن سائر الحيوانات فالنسج مثلا نقله عن العنكبوت والبناء استنّ فيه بسنة النحل ورفع القصور وانشاء الصوامع اخذ فيه مأْخذ النمل الابيض وادخار الاقوات حذا فيــه حذو جنس النمل

وتعلم الموسيقي من البلبل وعلى ذلك بقية الصنائع · فان كان هذا شأنه من النقص فليس من اللائق به ان يقذف بنفسه في ورطات المتاعب والمشاق عبثاً ومن الجهل ان يغتر بهذه الحياة التي لاتمتاز عن حياة سائر الحيوانات بل ولا جميع النباتات وليس وراءها حياة اخرى في عالم آخر بل اجدر به ان يلقي ثقل التكاليف عن عاتقـه ويقضي حق الطبيعة البدنية من حظ اللذة ومتى سنح له عارض رغيبة حيوانية وجب عليـه تناوله من ايّ وجوهه وعليـه أن لاينقاد الى ماتخيله له اوهام الحلال والحرام واللائق وغير اللائق ﴿ لبئس ماسولت لهم انفسهم نعوذ بالله ﴾ فتلك امور وضعية ﴿ في زعمهم ﴾ تقيد بها الناس جهلا فلا ينبغي لابن الطبيعة ان يجهل لها من نفسه محلاً ولما امتنعت عليهم نفوس اهل الحياء من الامة فلم تأخذ منها وساوسهم وجدوا تلك الصفة الكريمة سدًّا دون طلبتهم فانصبوا عليها يقصدون محوها من الانفس واعلنوا أن الحياء ضعف في النفس على ماتقدم وزعموا ان الواجب على طالب الكمال ان يكسر مقاطر العادات (جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق بقدر ارجل المحبوسين) ويحمل نفسه على ارتكاب مايستنكره الناس حتى يعود من السهل عليه ان يأتي كل قبيح بدون انفعال نفسي ولا يجد ادنى خجل في المجاهرة بأية هجينة كانت

ثم تقدم الابيقوريون الى العمل بما يرشدون اليه فهتكوا حجاب الحياء ومزّقوا ستاره واراقوا ماء الوجه الانساني المكرم فاستحلوا التناول من مال

الناس بغير اذن وكانوا متى رأوا مائدة اقتحموا عليها سواء طلبوا اليها أم لم يطلبوا حتى سماهم القوم بالكلاب فاذا راوهم رموهم بالعظام المعروفة ومع ذلك لم تتنازل هذه الكلاب الانسية عن دعوى الحكمة ولم يردعها رادع الزجر عن شيء من شرورها وكانت تنبح في الاسواق منادية المال مشاع بين الكل وتهجم على الناس من كل ناحية وهذا سبب شهرتهم بالكلبيين

فلما ضربت افكار النيشريين ﴿ الدهريين ﴾ في نفوس اليونان بسعي الابيقوريين ونشبت بعقولهم سقطت مداركهم الى حضيض البلادة وكسد سوق العلم والحكمة وتبدل شرف انفسهم بالذل واللؤم وتحولت امانتهم الى الخيانة وانقلب الوقار والحياء خفة وتسفلا واستحالت شجاعتهم الى الجبن ومحبة جنسهم ووطنهم الى المحبة الشخصية وبالجملة فقد تهدمت عليهم الاركان الستة التي كان يقوم عليها بيت سعادتهم وانتقض اساس انسانيتهم ثم انتهى امرهم بوقوعهم أسرى في ايدي الرومانيين ﴿ جنس اللاتين ﴾ وكبلوا في قيود العبودية زمناً طويلا بعد ما كانوا يعدون حكاماً في الارض بلا معارض

﴿ الامة الفارسية ﴾ بلغت فيها الاصول الستة أعلى مكانة من الكمال احقاباً طويلة فكانت لها أصول السعادة وموارد النعيم حتى بلغ اعتقاد الفارسيين من الشرف لانفسهم الى حد أنهم كانوا يزعمون ان السعداء من غيرهم انما هم الداخلون في عهدهم المستظلون بحمايتهم او المجاورون لممالكهم كان الصدق والامانة أول التعليم الديني عندهم ووصلوا في التحرج

من الكذب الى حيث كانوا اذا بلغت الحاجة مبلغها من احدهم لا يتقدم للاقتراض خوف أن يضطره الدين الى الكذب في مواعيد وفائه فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها كتاب مثل الشاهنامه

قال المؤرخ الفرنساوي فرانسيس لونورمان ان مملكة فارس على عهد دارا الاكبر كانت احدى وعشرين ايالة · واحدة منها تحتوي مصر وسواحل القلزم ﴿ البحر الاحمر ﴾ وبلوجستان والسند · وكانوا اذا ألم الضعف بسلطانهم في زمن من الازمان بعثتهم تلك العقائد القوية والصفات الكريمة على تلافي امرهم فخلصوا مما ألمّ بهم في قليل زمن ورجعوا الى مكانتهم الاولى ومجدهم الأعلى

ظهر فيهم ﴿ مزدك ﴾ النيشري ﴿ الدهري ﴾ على عهد ﴿ قباد ﴾ وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبنزغة من نزغاته قلع اصول السعادة من ارض الفارسيين ونسفها في الهواء وبددها في الاجواء فانه بدأ تعليمه بقوله · جميع القوانين والحدود والآداب التي وضعت بين الناس قاضية بالجور مقررة للظلم وكلها مبني على الباطل وان الشريعة النيشرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن وقد بقيت مصونة في حرزها عند الحيوانات والبهائم · ايُّ عقل وايُّ فهم يصل الى سر ماشرعته النيشر ﴿ الطبيعة ﴾ وأيُّ ادراك يحيط بمثل ماحاط به وقد جعلت الطبيعة حق المأكل والمشرب والبضاع مشاعاً بين الآكلين والشاربين والمباضعين

بدون ادني تخصيص · فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع بنته وأُمه وأُخته ثم تركهن لغيره يتمتع بهن انقياداً لما يخيله له الوهم مما يسميه شريعة وادباً · وأَي حق يستند اليه من يدعي ملكية خاصة في مال يتصرف فيه دون سواه مع انه شائع بينه وبين غيره · وأي وجه لمن يحجر على امرأة دخلت في عقده ويحظر على الناس نيلها وقد خلق الذكر للانثي والانثي للذكر وماذا يوجد من العدل في قانون يحكم بان المال الشائع اذا تناولته يد مغتصب بما يسمونه بيعاً وشراء او ارثاً يكون مختصاً بذلك المغتصب ثم يحكم على الفقير المحروم اذا احتال لاخذ شيءٍ من حقه والتمتع به بانه خائن او غاصب

فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة فعلى الانسان ان يفك اغلالها من عنقه ويطرح كل قيد عقدته القوانين والشرائع والآداب التي لاواضع لها سوى العقل الانساني الناقص وليرجع الى سنة الطبيعة المقدسة ويقضي حق شهوته من اللذائذ التي اباحتها له بأي الوجوه ومن اية الطرق ويأْخذ فى ذلك مأْخذ البهائم وعليه ان يقاوم الغاصبين المتحكمين في الحقوق قسرا * اي المالكين للأموال والأبضاع * فيخرجهم عن سوء فعالهم من الغصب والجور * اي حق التملك *

فلما ذاعت هذه النزغات الخبيثة بين الامة الفارسية تهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والنذالة واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت اخلاقهم ورذلت طباعهم

نعم ان انوشروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع محو هذه الاوهام الفاسدة بعد ماعلقت بالعقول والتبست نفايتها بالافكار فكان علة في ضعفهم حتى اذا هاجمهم العرب لم تكن الا حملة واحدة فانهزموا مع ان الروم وهم اقران الفارسيين ثبتوا في مجالدة العرب ومقاتلتهم ازمانا طويلة

﴿ الامة الاسلامية ﴾ جاءتها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة ومكنت في نفوسها تلك الصفات الفاضلة وشمل ذلك آحادهم ورسخت بينهم تلك الاصول الستة بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على رؤس الامم من جبال الالب الى جدار الصين في قرن واحد وحثوا تراب المذلة على رؤس الاكاسرة والقياصرة مع انهم لم يكونوا الاشرذمة قليلة العدد نزرة العدد ولم ينالوا هذه البسطة في الملك والسطوة في السلطان الا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة . هذا الى ماجذبه مغناطيس فضائلهم من مائة مليون دخلوا في دينهم في مدة قرن واحد من امم مختلفة مع انهم كانوا يخيرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه هكذا كان حال هذه الامة الشريفة من العزة ومنعة السلطان

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر النيشريون (الطبيعيون) بمصر تحت اسم الباطنية وخزنة الاسرار الالهية وانبثت دعاتهم في سائر

البلاد الاسلامية خصوصاً بلاد ايران . علم هؤلاء الدهريون ان نور الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة واتم التسليم قد أنار قلوب المسلمين كافة وان علماء الدين الحنيفي قائمون على حراسة عقائد المسلمين واخلاقهم بكمال علم وسعة فضل ودقة نظر فلهذا اذهب اولئك المفسدون مذاهب التدليس في نشر آرائهم وبنوا تعاليمهم على امور اولاً إثارة الشك في القلوب حتى يتفكك عقد الايمان وثانياً الاقبال على الشاك وهو في حيرته ليمنوه بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت فاذا انقاد لهم اخذوا منه مواثيقهم ثم اوصلوه الى مرشدهم الكامل وثالثاً اوعزوا الى دعاتهم ان يلبسوا لروساء الدين الاسلامي لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعي ان يكون بارعاً في التشكيك ماهراً في التلبيس مقتدراً على إشراب القلوب مطالبه . فاذا سقط الساقط من المغرورين في حبالة مرشدهم الكامل فاول مايلقنه المرشد قوله . ان الاعمال الشرعية الظاهرة ﴿ كالصلاة والصيام ونحوهما ﴾ انما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق والحق هو المرشد الكامل فحيث انك وصلت الى الحق فاليك ان تلقي عن عاتقك ثقل الاعمال البدنية فاذا مضى عليه زمن في عهدهم صرحوا له بان جميع الاعمال الباطنة والظاهرة وكذلك سائر الحدود والاعتقادات انما الزمت فرائضها بالناقصين المصابين بامراض من ضعف النفوس ونقص العقول اما وقد صرت كاملاً فلك الاختيار في مجاوزة كل حد مضروب والخروج من اكنان التكاليف الى باحات

الاباحة الواسعة · ما الحلال وما الحرام · ما الامانة وما الخيانة · ما الصدق وما الكذب · ماهي الفضائل وما هي الرذائل · الفاظ وضعت لمعان مخيلة ومالها من حقيقة واقعية ﴿في زعم المرشد﴾

فاذا قرر المرشد اصول الاباحة في نفوس اتباعه التمس لهم سبيلاً لانكار الالوهية وتقرير مذهب النيشرية ﴿الدهريين﴾ فاتي اليهم من باب التنزيه فقال الله منزه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجودا لاشبه الموجودات ولو كان معدوماً لاشبه المعدومات فهو لا موجود ولا معدوم ﴿يعني انه يقر بالاسم وينكر المسمى﴾ مع ان شبهته هذه سفسطة بديهية البطلان فان الله منزه عن مشاركة الممكنات في خصائص الامكان اما في مطلق الوجود فلا مانع من ان يتفق اطلاق الوصف عليها وعليه وان كان وجوده واجباً ووجودها ممكنا

وقد جدّت طائفة الباطنية في افساد عقائد المسلمين زمانا غير قصير أخذاً بالحيلة ونفاذاً بالخدعة حتى انكشف امرهم لعلماء الدين ورؤساء المسلمين فانتصبوا لدرء مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا كثرة معارضيهم شحذوا شفار الغيلة ففتكوا بكثير من الصالحين واراقوا دماء جم غفير من علماء الامة الاسلامية وامراء الملة الحنيفية

وبعض اولئك المفسدين عند ما امكنته الفرصة ووجد من نفسه ريح القوة اظهر مقاصده على منبر ﴿الموت﴾ ﴿قلعه في خراسان﴾ وجهر بآرائه الخبيثة فقال · اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن

الاعناق ورفعت الاحكام الشرعية سواء كانت متعلقة بالاعمال البدنية الظاهرة او الملكات النفسية الباطنة والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق وانا القائم الحق فليعمل عاملٌ ما اراد فلا حرج بعد اليوم اذ رفعت التكاليف وخلصت منها الذمم ﴿أي اغلقت ابواب الانسانية وفتحت ابواب البهيمية﴾

وبالجملة فهؤلاء الدهريون من اهل التاويل اي ﴿الناتور اليسم﴾ من الاجيال السابقة الاسلامية عملوا على تغيير الاوضاع الآلهية بفنون من الحيل ودعوا كل كمال انساني نقصاً وكل فضيلة رذيلة وخيلوا للناس صدق مايزعمون ثم تطالوا على جانب الالوهية فحلوا عقود الايمان بها بالسفسطة التي سموها تنزيهاً ومحوا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب وفي محوه محو سعادة الانسان في حياته وسقوطه في هاوية اليأس والشقاء

فافسدوا اخلاق الملة الاسلامية شرقاً وغرباً وزعزعوا اركان عقائدها وساعدهم مدُّ الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئة وتجريدها من السجايا الكاملة التي كان عليها ابناء هذه الملة الشريفة حتى تبدلت شجاعتهم بالجبن وصلابتهم بالخور وجرأتهم بالخوف وصدقهم بالكذب وامانتهم بالخيانة ووقع المسخ في هممهم فبعد ان كان مرماها مصالح الملة عامة صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة وعادت رغباتهم لا تخرج عن الشهوات البهيمية. وكان من عاقبة ذلك ان جماعة من قزم الافرنج صدعوا اطراف البلاد السورية وسفكوا فيها دماء آلاف

من اهاليها الابرياء وخربوا ما امكنهم ان يخربوا وثبتوا بها نحو مائتي سنة والمسلمون في عجز عن مدافعتهم مع ان الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين وطرو الفساد على اخلاقهم في قلق لايستقر لهم أمن على حياتهم وهم في بلادهم خوفاً من عادية المسلمين وكذلك قام جماعة من اوباش التتر والمغول مع جنكيزخان واخترقوا بلاد المسلمين وهدموا كثيرا من المدن المحمدية واهدروا دماء ملايين من الناس ولم تكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم مع ان مجال خيولهم في بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهي الي اسوار الصين

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذلات والأهانات ولا رزئوا بالتخريب في بلادهم والفناء في ارواحهم الا بعد ما كانت بصائرهم ونغلت نياتهم ومازج الدغل قلوبهم وخربت اماناتهم وفشا الغش والادهان بينهم ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف امة ولا ينظر الى ملة فاصبحوا بقناة خوّارة بعد ان كانت قناتهم لاتلين لغامز الا ان بقية من تلك الاخلاق المحمدية كانت لم تزل راسخة في نفوس كثير منهم كامنة في طي ضمائرهم فهي التي انهضتهم من كبوتهم وحملتهم على الجد في كشف السطوة الغربية عن بلادهم فأجلوا الامم الافرنجية بعد مئين من السنين وخلصوا البلاد السورية من ايديهم وطوقوا الجنكيزيين بطوق الاسلام والبسوهم تيجان شرفه ولكنهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف واعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الاول فان ما كان من شوكة وقوة انما هو اثر

العقائد الحقة والصفات المحمودة فلما خالط الفساد هذه وتلك تعسر عود السهم الى النزعة . ولهذا ذهب المؤرخون الى ان بداية الانحطاط في سلطة المسلمين كانت من حرب الصليب والاليق ان يقال ان ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشرية ﴿ الدهرية ﴾ في صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس اهل الدين الاسلامي

وليس يخاف ان فئة ظهرت في الايام الاخيرة ببعض البلاد الشرقية واراقت دماء غزيرة وفتكت بارواح عزيزة تحت اسم لا يبعد عن اسماء من تقدمها لمثل مشربها وانما التقطت شيئاً من نفايات ما ترك دهريو الموت وطبيعيو كردكوه ، وتعليمها نموذج تعاليم اولئك الباطنيين فعلينا ان ننتظر ما يكون من آثار بدعها في الامة التي ظهرت بها

﴿ الشعب الفرنساوي ﴾ شعب كان قد تفرد بين الشعوب الاوروبية باحراز النصيب الاوفر من الاصول الستة فرفع منار العلم وجبر كسر الصناعة في قارة اوربا بعد الرومانيين وصار بذلك مشرقاً للتمدن في سائر الممالك الغربية وبما احرز الفرنساويون من تلك الاصول كانت لهم الكلمة النافذة في دول الغرب الى القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي حتى ظهر فيهم (وولتير) و (روسو) يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر ابيقور الكلبي واحييا ما بلي من عظام الناتوراليسم [الدهريين] ونبذا كل تكليف ديني

وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما ان الآداب الآلهية جعليات خرافية كما زعما ان الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الانساني وجهر كلاهما بانكار الالوهية ورفع كلٌ عقيرته بالتشنيع على الانبياء * برأهم الله مما قالا * وكثيرا ما الف ولتير من الكتب في تخطئة الانبياء والسخرية بهم والقدح في انسابهم وعيب ماجاؤا به فاخذت هذه الاباطيل من نفوس الفرنساويين ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسوية ونفضوا منها ايديهم وبعد ان اغلقوا ابوابها فتحوا على انفسهم ابواب الشريعة المقدسة * في زعمهم * شريعة الطبيعة وزاد بهم الهوس في بعض أيامهم حتى حمل لفيفاً من عامتهم ان يتناولوا بنتاً من ذوات الجمال فيهم ويحملوها الى محراب الكنيسة ففعلوا ونادى زعيم القوم ايها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنوا شيئاً من ذلك تهديداً لكم من اله السماء يرسله عليكم ليعظكم به ويزجركم عن مخالفته كلاً فهذه كلها آثار الطبيعة * الناتور * ولا مؤثر في الوجود سوى * الناتور * خلوا عن اعناقكم قيود الاوهام ولا تقيموا لانفسكم إلهاً من خواطر ظنونكم فان كانت العبادة من رغائب شهواتكم فها هي (مدموازيل) اي العذراء قائمة في المحراب على مثال الدمية فاسجدوا لها ان شئتم

والاضاليل التي بثها هذان الدهريان * وولتير وروسو * هي التي اضرمت نار الثورة الفرنساوية المشهورة ثم فرقت بعد ذلك اهواء الامة وافسدت اخلاق الكثير من ابنائها فاختلفت فيها المشارب وتباينت

المذاهب واوغلوا في سبل الخلاف زمناً يتدمه زمن حتى تباين صدعهم وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية وليس بينها وبين غايات سائر الفرق مناسبة وانحصر سعي كل تبيل في التماس ما يواتي لذته ويوافق شهوته واعرضوا عن منافعهم العامة واعقب ذلك عروض الخلل لسياستهم الخارجية شرقاً وغرباً

نعم ان نابليون الاول بذل جهده في اعادة الديانة المسيحية الى ذلك الشعب استدراكاً لشأنه لكنه لم يستطع محو آثار تلك الاضاليل فاستمر الاختلاف بالفرنساويين الى الحد الذي هم عليه اليوم . هذا الذي جرّ الفرنساويين للسقوط في عار الهزيمة بين يدي الجرمانيين وجلب اليهم من الخسار ما تعسر عليهم تعويضه في سنين طويلة . هذه الاباطيل الدهرية قام عليها مذهب الكمون اي الاشتراكيين ونما هذا المذهب بين الفرنساويين ولم تكن مضار الآخذين به ومفاسدهم في البلاد الفرنساوية اقل من مضار الجرمانيين ❊ راجع تاريخ الحرب بين فرنسا والمانيا ❊ ولو لم يتدارك الامر ارباب العقائد النافعة والسجايا الحسنة لنسف الاشتراكيون كل عمران على اديم فرانسا ومحوا مجد الامة تنفيذاً لاهوائهم وجلباً لرغائبهم

❊ الامة العثمانية ❊ انما رقت حالتها في الازمنة المتأخرة بما دبّ في نفوس بعض عظمائها وامرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين اجترحوا اثم الخيانة في الحرب الاخيرة بينها وبين الروسية كانوا يذهبون مذهب النيشريين ❊ الدهريين ❊ وبذلك كانوا يعدون انفسهم من

ارباب الافكار الجديدة ﴿ ابناء العصر الجديد ﴾

زعموا بما كسبوا من اوهام الدهريين ان الانسان حيوان كالحيوانات لايختلف عنها في احكامها وهذه الاخلاق والسجايا التى عدوها فضائل تخالف بجميعها سنن الطبيعة المطلقة ﴿ الناتور ﴾ وانما وضعها تحكم العقل وزادها تطرف الفكر. فعلى من بصر بالحقيقة (على زعم اولئك المارقين) أن يستنهج كل طريق لتحصيل شهواته واستيفاء لذاته ولا يأخذ نفسه بالحرمان من ملاذه وقوفاً عند خرافات القيود الواهنة والموضوعات الانسانية الواهية. وحيث ان الفناء حتم على الاحياء فما هو الشرف والحياء وما هي الامانة والصدق واي شيء هو العفة والاستقامة. ولهذا خان اولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدنية واستناموا الى الخسة ونسفوا بيت الشرف العثمانى في تلك الحرب وجلبوا المذلة على شعوبهم بعرض من الحطام قليل

السوسياليست ﴿ الاجتماعيون ﴾ النهيليست ﴿ العدميون ﴾
الكمونيست ﴿ الاشتراكيون ﴾

هذه الطوائف الثلاثة تتفق في سلوك هذه الطريقة ﴿ الدهرية ﴾ وزينوا ظواهرهم بدعوي انهم سند الضعفاء والطالبون بحقوق المساكين والفقراء وكل طائفة منها وان لونت وجه مقصدها بما يوهم مخالفته لقصد الاخري الا ان غاية مايطلبون انما هو رفع الامتيازات الانسانية كافة واباحة الكل للكل واشراك الكل في الكل. وكم سفكوا من دماء وكم هدموا من بناء

وكم خربوا من عمران وكم أثاروا من فتن وكم انهروا من فساد · كل ذلك سعياً في الوصول الى هذه المطالب الخبيثة · وجميعهم على اتفاق في ان جميع المشتهيات الموجودة على سطح الارض منحة من الطبيعة وفيض من فيوضها والاحياء في التمتع بها سواء واختصاص فرد من الانسان بشيء منها دون سائر الافراد بدعة في شرع الطبيعة سيئة يجب محوها والاراحة منها · ومن مزاعمهم ان الدين والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين ابناء الطبيعة ونشر شريعتها المقدسة ﴿ الاباحة والاشتراك ﴾ وليس من مانع اشد منهما فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعي ان ينقضوا هذين الاساسين ويبيدوا الملوك ورؤساء الاديان

ثم يعمدوا الى الملاك واهل السعة في الرزق فان دانوا لشرع الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص فتلك والا أخذ باعناقهم قتلا وبأكظامهم خنقا حتى يعتبر بهم من يكون من امثالهم فلا يلوون رؤسهم كبرا على الشريعة المقدسة ﴿ شريعة الطبيعة ﴾ ولا تزورّ أعناقهم عصياناً لاحكامها

نظر ابناء هذه الطوائف الثلاثة في وجوه الوسائل لبث افكارهم والافضاء بما في اوهامهم الى قلوب العامة فلم يجدوا وسيلة أنجح في زرع بزور الفساد في النفوس من وسيلة التعليم إما بانشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف او بالدخول في سلك المعلمين في مدارس غيرهم ليقرروا اصولهم في اذهان الاطفال وهم في طور السذاجة فتنتقش بها مداركهم بالتدريج · فمن اولئك الدهريين من همه بناء المدارس ودعوة الناس اليها ومنهم متنزوون في

بلاد أوربا يطلبون وظائف التعليم وينالون من ذلك طلبتهم وجميعهم يتعاونون على اذاعة خيالاتهم الباطلة وبهذا كثرت احزابهم ونمت شيعتهم في اقطار الممالك الاروبية خصوصاً مملكة الروسية . لاجرم ان هذه الطوائف اذا استفحل امرها وقوي ساعدها على المجاهرة باعمالها فقد تكون سبباً في انقراض النوع البشري كما تقدم ذكره أعاذنا الله من شرور اقوالهم واعمالهم

﴿ مورمون ﴾

. هذا النبي الاخير والرسول الممتاز بالبعثة من قبل الفاتور (الطبيعة) نشأ في انكلترا ثم هاجر منها الى اميركا واعلن ماالقي اليه بالهام الطبيعة من ان النعمة العظمى ﴿ يريد الاباحة والاشتراك ﴾ انما يوتاها من كان مؤمناً بالطبيعة وليس لغيره من الكفرة بها حق التمتع بتلك النعمة واجتمع اليه عدد من ضعفة العقول فألف منهم جمعيتين احداهما من المؤمنين والاخرى من المؤمنات وقال لكل مؤمن حق التمتع بكل مؤمنة حتي كانت اذا سئلت احدى المؤمنات . زوجة من أنتِ . تجيب انها زوجة جماعة المؤمنين واذا سئل احد ابنائهن . ابن من انتَ . يجيب انه ابن الجمعية الا انه الى الآن لم يصعد لهيب فسادهم من هوة الويل (هوة جمعيتهم)

﴿ دهريو الشرقيين ﴾

اما منكرو الالوهية أعني النيشريين الذين ظهروا في لباس المهذبين

ولوّنوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية وزعموا انفسهم طلاب خير الامة فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ثم تجلوا في اعين الاغبياء حملة لاعلام العلم والمعرفة وبسطوا للخيانة بساطًا جديدا وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة مسروقة من اوهام المبطلين وفتلوا سبالهم كبرا وعلوّا ولقبوا انفسهم بالهادين والادلاء وهم في اطباق جهل وارتاق غباوة وفي أهب من دنس الرذائل ومسوك من قذر الدنائم فاولئك قوم قوي فيهم الظن بان العقل وثمرته من المعرفة ينحصران في تبيين وجوه الغدر وتعرف طرق الاختلاس . وانني لفي خجل من ذكرهم يدافعني الحياء عن رواية سيرهم وحكاية اعمالهم فان مقاصدهم من الدناءة بحيث لاتخرج عن جيوبهم . يسعون في اقتلاع اساس امتهم لشهوة بطونهم . يحدون شفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بني جنسهم لايبتغون بذلك عوضًا سوي حشو معدهم وما اضيق مجال افكارهم . الى الآن لم يخط احدهم خطوة خارج كرشه ولم يمد واحد منهم رجله لابعد من فرشه وليس في وسع القلم ان يتحرك في هذا المجال الضيق غير انه يمكن ان يقال انهم ﴿ بياجوا ﴾ لغيرهم من اهل الضلالة ﴿ اي سيئو التقليد لهم ﴾ ومابقى من اوصافهم لايخفي على فهم القارئين

﴿ مضار انكار الالوهية ﴾

تبين مما اسلفناه ان طائفة النيشريين ﴿ الدهريين ﴾ كلما نجمت في امة افسدت اخلاقها واوقعت الخلل في عقولها وتخطفت قلوب آحادها

بانواع من الحيل وألوان من التلبيس حتي تصبح تلك الامة وقد وهي اساسها وتمطر بناؤها واغتالتها رذائل الاخلاق من الاثرة وعبادة الشهوات والجراءة على ارتكاب الخيانات ولا يزال الفساد يتغلغل في احشائها حتي تضمحل ويمحى اسمها من صفحة الوجود اوتضرب عليها الذلة و يخلد ابناؤها في الفقر والعبودية

الاّ ان قبيلا من هذه الطائفة عملوا على اخفاء مقصدهم الاصلي وهو الاباحة والاشتراك واكتفوا في ظاهر الامر بانكار الالوهية وجحود يوم الدين يوم العرض والجزاء وقد يظن بعض ضعفة العقول ان في ذلك بسطة الفكر وسعة الحرية لهـذا احببت ان ابين ان هذه النزعة وحدها كافية في افساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع اركان المدنية وليس من ضروب الباطل ماهو اشد منها تأثيرًا في محو الفضائل واثارة الخبائث والرذائل وليس من الممكن ان يجتمع لشخص واحد وهم الدهري وفضيلة الامانة والصدق وشرف الذمة وكمال الرجولية

ذلك ان كل فرد من نوع الانسان قد أودع بحسب فطرته وبناء بنيته شهوات تميل به الى مشتهيات فشهواته تدفعه الى تحصيل مشتهياته ولا يستطيع تسكين هواه ولا كسر سورة نفسه الا بنيل ما يمكنه من تلك المشتهيات كأنه يعالج ألم الطالب بما يصل اليه من المطلوب ولم تحدد الطبيعة طريقًا معينة يسلكها الراغبون للوصول الى رغائبهم فسبيل حق . وسبيل باطل . وسبيل الفتنة والفساد . وسبيل الهدي والرشاد . وسبيل سفك الدماء

واغتصاب الحقوق · وسبيل الاجمال والتعفف · وكلاهما ميسر للطالب غير ممتنع على السالك

فقصر النفوس على طريقة محدودة وتوقيف اهوائها عند حدود معينة ومنعها من تجاوز حد الاعتدال في آثارها واعمالها وارضاء كل ذي شهوة بحقه وكفه عن الاعتداء والاجحاف بحقوق غيره هذا كله انما يكون باحد امور اربعة

﴿ الامور التي يمكن بها الزام النفس حدود العدل ﴾

اما ان يحمل كل ذي حق آلة حربه فيخترط سيفه ويعتقل رمحه ويرفع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم احدى رجليه ويؤخر الاخرى دفاعاً عن حقه · واما شرف النفس كما يزعمه ارباب الاهواء · واما الحكومة · واما الاعتقاد بأن لهذا العالم صانعاً قادراً محيط العلم نافذ الحكم وانه يوفي كل عامل جزاء عمله من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ثواباً جزيلا او عقاباً وبيلا في حياة بعد هذه الحياة

﴿ الاول المدافعة الشخصية ﴾

اما الاول فبراز وضراب ونضال وقتال وجلاد تسيل به الاودية مهجاً وتخضل به الربى دماً وتتفانى به النفوس طلباً للحقوق او دفاعاً عنها وتكون الدائرة للأقوياء على الضعفاء حتى اذا قوى الضعفاء يوماً ما ثاروا على الاقوياء فلا يزال صاحب القوة يطحن الضعيف والاقران يسحق بعضهم بعضاً الى ان يعم جميعهم الفناء وينقرض النوع الانساني من وجه البسيطة

﴿ الثاني شرف النفس ﴾

اما الثاني فنقدم الكلام فيه ببيان شرف النفس فهي صفة تنكب بصاحبها عن اتيان مايذم عند قبيلته وغشيان ما يقبح في انظار عشيرته ويقابلها خسة النفس وهي صفة لا يأثر معها صاحبها من التشنيع ولا تنفعل نفسه من التقبيح. فتلك الصفة اعني شرف النفس ليست لها حقيقة معينة ولا هي في حدود معروفة عند جميع الامم حتى يمكنهم بالمحافظة عليها ان يقفوا بالشهوات عند حد الاعتدال. ألا ترى ان كثيراً من الامور يعد ارتكابه عند بعض الامم خسة ودناءة وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يستتبع المدح والثناء. على انه في الحقيقة شر الشرور واعظم الفجور تتبين ذلك من حال سكان البادية واهل الجبال من القبائل المتبدية. فانهم يعدون الغارة والفتك بالارواح وانتهاب الاموال واسترقاق الاحرار من فعال المجد وبلوغ الغاية منها بلوغ الى نهاية الشرف وهذه الفعال بعينها يعدها سكان المدن واهل الحضارة من لواحق الدناءة وملائم خسة النفس وكذلك الحيلة والمكر يحسبها قوم خسة وخبثا ويحسبها آخرون حكمة وعقلا

واذا امعنت النظر في المسألة وجدت ان لكل كائن في عالم الامكان علة غائية والعلة الغائية لاعمال الانسان انما هي نفسه فهو لا يطلب شرف النفس ولا يسعى للتجمل به الا لطمعه في توفير رزقه وتوسيع سبل معيشته وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه فانه يعلم ان شرف النفس يرد الى صاحبه شوارد القلوب ويجعله مكان ثقتها ويظهره في بهاء الصدق والامانة

فيعظم الركون اليه وتكثر اعوانه وفي ذلك توفر اسباب المعيشة واتساع
طرقها بخلاف من تلثلث نفسه بالخسة فذلك مقذوف القلوب منبوذ الطباع
لاينبسط اليه النظر ولا يحوم عليه الخاطر فهو قليل الاعوان عديم الاخوان
ومن كان هذا حاله سدت عليه ابواب الرزق واكتنفته غائلات الفاقة
فيكون ميل الانسان الى شرف النفس ودرجته من القوة والضعف وتمكنه
من نفسه وعدم تمكنه ومراتب اثره في كبح الشهوات وردها عند تخوم العدالة
انما هو على حسب أحوال الطبقات في معائشهم بمعنى ان كل طبقة من
الناس تطلب من تلك الصفة ماينفعها في معيشتها ويحفظها من طارقة
السوء بل لاترى كل طبقة ان شيئاً يعد من الشرف الا تلك الصفة التي
تحفظ بها المنزلة وتصان بها مواد المعيشة . ومازاد على ذلك فلا يعد فقدانه
نقصاً ولا الخلو عنه انحطاطاً فلا تسعى لاستحصاله وان عده قوم آخرون
من جوهر الشرف ومن مقومات الكمال وان لنا عبرة في اغلب السلاطين
والامراء فانهم مع اخذهم بمذاهب الشرف لايبالون بنقض العهود وخفر
الذمم خصوصاً مع من دونهم في السلطان ومن لايضارعهم في القوة ولا
يأنفون الظلم ولا ينكرون الغدر ولا يتجافون مذمة من تلك المذام ولا
يعدون شيئاً منها خسة ولا يحسبونه من غاشيات الدناءة مع ان واحداً
من هذه الفعال لو صدر من آحاد الرعية بعضهم مع بعض لعدّ من دنيات
الفعال ورمى فاعله بخسة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف ومن هذا
الوجه كان الخلل يعرض لنظام المعيشة حيث ان سائر الطبقات

لا ينظرون الى ما يصدر عن أُمرائهم ورؤسائهم نظرهم الى ما يصدر عن آحادهم فهم يذهبون مذاهب التأْويل في اعمال الرؤساء والكبراء . وهكذا حال الطبقات العالية بالنسبة لما دونها طبقة بعد طبقة اي ان كل طبقة عالية تزعم نفسها مصونة من المثالب محفوظة من الشنائع ومنزلتها ممن دونها تحمل الادنين على الاقرار لها بما تزعم فلو كان قوام النظام في العالم الانساني بشرف النفس لانطلقت ايدي العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها وتفتحت ابواب الشر والفساد في وجه هذا النوع الضعيف

هذا كله اذا فرضنا وقوف كل طالب لشرف النفس عند ما يظنه شرفاً لايخالفه الى سواه لاخفية ولا جهرة لكن حيث كان الباعث على التجمل بهذا الوصف انما هو الرغبة في تحسين المعيشة والفرار من مضانكها فقلما يستوي ظاهر الانسان وباطنه في هذه الصفة فهو في معلنات اموره يسلك سبل الشرف لينال حظه من ميل القلوب اليه ثم لايمنعه ذلك من غشيان الخيانة الخفية وغمس يده في قذر العدوان من وراء حجاب التستر وبسط كفه لتناول الرشوة في زوايا الحاكم لان طالب خفض العيش يعرف ان هذه الخبائث الخفية تصل به الى مقصده من السعة على أمن من الاشتهار بصفة الدناءة وذلك معروف من احوال المدّاعين الظاهرين في ثياب الشرف والعفة والله اعلم ماذا يستترون تحت ذيولهم وما يضمرون دون جيوبهم وما يخزنون من الاموال في زوايا بيوتهم

فاذن لايليق بذي عقل ان يجعل شرف النفس ميزاناً للعدل ولا

مكان للظن بان هذه الصفة تقف بكل عند حده وترضيه بحقه وتكف النفوس عن غصب الحقوق وتدفعها عن الجور وتمنعها عن الحيف ماظهر منه وما بطن

فان قال قائل إن حب المحمدة مما أُشربته قلوب البشر وهو باعث على الاستمساك بشرف النفس لما يستعقبه من حسن الحمد فكل ذي فطرة انسانية يسعى لكسب المحمدة لابد له ان يطلب الغاية من خلة الشرف النفسي وينزه نفسه عن جميع الرذائل ويرفعها عن معاطاة الدنايا والخسائس ويبتعد بها عن مخالج الحيف والعدوان فنقول في جوابه أَوّلاً اذا تعارض موجب المدح والثناء ومقتضى الشهوات البدنية فقليل من الناس من يختار الاول على الثاني والجمهور الاغلب مغلوب للشهوة مأسور اللذة والنظر في طبقات الناس واحوالهم على اختلافهم يثبت لنا ذلك وثانيا ان صاغة المدائح ونساج المحامد صنف من الناس اشباه إنسان وأَسناخ حيوان. اولئك المعروفون بالمؤرخين والشعراء الكاذبين ولا باعث لهؤلاء على نثر المحامد ونظم القصائد الانضارة الثروة في الممدوحين ورونق الجاه والجلالة في المحمودين من غير نظر الى مناشئ الجاه ولا موارد الثروة فمناط الحمد احدى البسطتين وان حفت بالمظالم واحيطت بالمآثم ولهذا تنبعث نفوس كثير من الناس للوصول الى هذه المظاهر فيطلبون الغني والثروة والجاه والعظمة ولو كان ذلك من وجوه الغدر وطرق الحيف والظلم لينالوا بذلك حظهم من اللذائذ البدنية كما يصيبون سهمهم من

المدائح على ألسنة اولئك المدلسين وليس بكثير في الناس طلاب المحمدة الحقة اللاقطون لدرر المدائح من باحات الفضائل وساحات المكارم المرتادون للحمد بين حدود الحق واولئك الحافظون لشرف النفس وقليل ماهم. فلم تبق ريبة في قصور هذه الخلة اعني شرف النفس عن الكفاية في تعديل الاخلاق وتحديد الشهوات وحجب العدوان وحفظ النظام الانساني اللهم الا أن تكون مستندة الى عقيدة في دين وتكون حقيقتها محدودة في ذلك الدين فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الانسانية ومعقداً لروابط الالفة وسبباً لانتظام سلسلة المعاملات لاستنادها على الدين لا بنفسها مجردة كما مرت الاشارة اليه في صفة الحياء

﴿ الثالث الحكومة ﴾

واما الثالث (الحكومة) فليس بخاف ان قوة الحكومة انما تأتي على كشف العدوان الظاهر ورفع الظلم البين اما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون بصبغ من الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه ارباب الشهوات فمن اين للحكومة ان تستطيع دفعه وأني يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتى تقوم بدفع ضرره على ان الحاكم واعوانه قد يكونون بل كثيراً ما كانوا ويكونون ممن تملكهم الشهوات فاي وازع يأخذ على ايدي اصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم واى غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوي المكنة منهم من شره اولئك

المتسلطين وحرصهم . لا جرم قد يكون الحاكم في خفيّ أمره رئيس السارقين وفي جلي حاله قائد الناهبين واعوانه آلات يستعملها في الجور وأدوات يستعين بها على الفساد والشر فيعطلون من حقوق عباد الله ويهتكون من اعراضهم وينمون من اموالهم يروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء وينقشون قصورهم بمهج الفقراء وبالجملة يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد ودمار البلاد

﴿ الامر الرابع الاعتقاد بالالوهية ﴾

فاذن لم يبق للشهوة قامع ولالأهواء رادع الا الامر الرابع اعني الايمان بان للعالم صانعاً عالماً بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدّر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه في حياة بعد هذه الحياة وفي الحق ان هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه وحاسمان صارمان يجزان اثر الغدر ويستأصلان مادة التدليس وهما افضل وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد وهما مجلبة الامن ومتنسم الراحة وبدون هذين الاعتقادين لاتقرر هيئة للاجتماع الانساني ولا تلبس المدنية سربال الحياة ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفو صلات البشر من شائبات الغل وكدورات الغش

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين لسكنتها شياطين الرذائل وسدت عليها طرق الفضائل ومن اين لمنكر الجزاء أن يكف نفسه عن

خيانة او يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق وقد تقرر ان العلة الغائية لاعمال الانسان انما هي نفسه كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعقاب وحساب وعتاب في يوم بعد يومه فما الذي يمنعه عن ذمائم الافعال خصوصاً اذا تمكن من اخفاء عمله وأمن من سوء عاقبته في الدنيا او رأى منفعته الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سنن الفضيلة وأي حامل يحمله على المعاونة والمرادنة والمرحمة والمروءة وعلو الهمة وما يشبه ذلك من الاخلاق التي لاغني للهيئة الاجتماعية عنها (ولئن وجد في احد الجاحدين شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضة للفساد او كان أبتر ناقصاً لفقد مايمده من سائر صفات الكمال)

وقد تبين ان اوّل تعاليم النيشريين * الدهريين * ابطال هذين الاعتقادين * الاعتقاد بالله والاعتقاد بالحياة الابدية * وهما اساس كل دين وآخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك فهؤلاء القوم هم الساعون في نسف بناء الانسانية وتذريته في ذيول السافيات يطلبون ضعضعة اركان المدنية وفساد الاخلاق البشرية ويقوّضون بذلك ما رفعه العلم وشادته المعرفة فيهلكون الامم باطفاء حرارة الغيرة واخماد ريح الحمية . هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانة وأرومات الرذالة والدناءة واحلاس الخسة والنذالة واعلام الكذب والافتراء ودعاة الحيوانية العجماء محبتهم كيد وصحبتهم صيد وتوددهم مكر ومواصلتهم غدر وصداقتهم خيانة ودعواهم للانسانية حبالة ودعوتهم للعلوم شرك ومكيدة . يخونون الامانة ولا يحفظون السر ويبيعون ألصق الناس بهم

بأدني مشتهياتهم . عبيد البطون واسراء الشهوات لا يستنكفون من الدنية اذا اعقبتها عطية ولا يخجلون من الفضيحة اذا تبعتها رضيخة لا علم عندهم بالوقار ولا احساس لهم بالعار ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر او تفسير مفسر الابن فيهم لا يأمن أباه والبنت لا أمان لها من كليهما . نعم اي حد تقف دونه حركات طبع الطبيعيين

قد يوجد بين الناس من تغره نعومة لمس هذه الافاعي وتروقه رقطة جلودها وانتظام الرقش فيها فينخدع لهم بما يلتبس عليه من امرهم فيصغى لزخرف قولهم ويظن ان هؤلاء القوم من طلاب التمدن والاعوان على الاصلاح او من الراغبين في بث المعارف او المنقبين عن الحقائق او يتخيل ان منهم من يكون غوثاً عند الضيق او عوناً في الشدة او مخزناً للاسرار عند الحاجة فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لامحالة يبكي عليه ويضحك منه فالضحك عجباً من غروره والبكاء حزناً على ضلاله

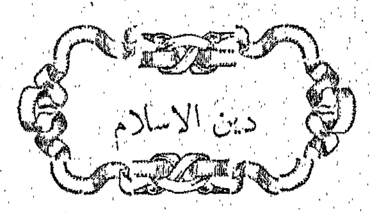
فتبين مما قررناه أن الدين وان انحطت درجته بين الاديان ووهي اساسه فهو افضل من طريقة الدهريين وامس بالمدنيـة ونظام الجمعية الانسانية واجمل اثراً في عقد روابط المعاملات بل في كل شأن يفيد المجتمع الانساني وفي كل ترقٍ بشري الى اية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الاولي

ولما كان نظام الاكوان قد بني على اساس الحكمة ونظام العالم الانساني جزء من النظام الكوني ألهم الله نفوس البشر ان تفزع الى مقاومة اولئك

المفسدين ❊ الدهريين ❊ في اي زمان ظهروا ومدافعة ما يعرض من شرهم ❊ كما الهمهم الفزع من الحيوانات المفترسة والنفرة من الاغذية السامة ❊ وانهض حفاظ النظام المدني الحقيقي وهو الدين لبذل الجهد وافراغ الوسع في محو آثارهم واستئصال ما يغرسون في تعاليمهم لاجرم ان مزاج الانسان الكبير ❊ يعني عموم النوع ❊ بما اودع الله فيه من الشعور الفطري وهو اثر الحكمة الالهية العامة يمج هؤلاء الخونة ولا يحتمل وجودهم في باطنه فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة او الذنانة من المنخر او النخامة من الصدر لهذا تراهم وان حلوا بعض منازل الارض من زمان بعيد وايدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوى الشوكة لاغراض سافلة الا انهم لم يثبتوا ولم يتم لهم امر بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع والنظام الحقيقي لنوع الانسان وهو الدين لم يزل قارًّا راسخًا في جميع الاجيال وعلى اى الاحوال

فلم تبق ريبة أن الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطه شيء من اباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب أنه يكون سببًا في السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه في جوادّ الكمال الصوري والمعنوي ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم بسعادة الدارين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وهذا آخر ما دعت اليه الحاجة من

المقابلة بين مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام وأثر كل من الامرين في بنية الاجتماع الانساني والله اعلم



اذا نظرنا فيما بين ايدينا من الاديان وجدنا دين الاسلام قد اقيم على اساس من الحكمة متين ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين ذلك أن عروج الامم على معارج الحق الأعلى وتدرج الشعوب في مدارج العلم الأجلى وصعود الاجيال على مراقي الفضائل واشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق ونيلهم للسعادة الحقيقية في الدارين كل ذلك مشروط بامور لايتم الا بها

﴿ الامور التي تتم بها سعادة الامم ﴾

الاول صفاء العقول من كدر الخرافات وصدإ الاوهام فان عقيدة وهمية لو تندس بها العقل لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من كشف نفس الامر بل ان خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك ان يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق وفوق ذلك ما تجلبه الاوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة والخوف مما لايخيف والفزع مما

لايفزع . ترى الواهم المسكين يقضي حياته بين رجفة واضطراب يتطير من طيران الطيور وحركات البهائم ويضطرب من هبوب الرياح وينزعج لقصف الرعد والتماع البرق ويسلك به الوهم طرق الخيفة مما لا أثر له في الاخافة وبهذا يستبل عليه الحرمان من أَغلب اسباب السعادة ثم يكون أُلعوبة في ايدي المحتالين وصيداً في حبائل الماكرين والدجالين

واول ركن بني عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الاوهام فمن اهم اصوله الاعتقاد بان الله متفرد بتصريف الاكوان متوحد في خلق الفواعل والافعال وان من الواجب طرح كل ظن في انسان او جماد علوياً كان او سفلياً بان له في الكون أثراً بنفع او ضر او اعطاء او منع او اعزاز او اذلال ومن المفروض خلع كل عقيدة بان الله جلَّ شأنه ظهر او يظهر بلباس البشر او حيوان آخر لصلاح اوفساد او ان تلك الذات المقدسة نالت في بعض اطوارها شديد الآلام واليم الاسقام لمصلحة احد من الخلق فضلاً عما يحف بذلك من خرافات كل واحدة منها كافية في اعماء العقول وطمس نورها

واغلب الاديان الموجودة لايخلو من هذه الاوهام ان شئت فاضرب بنظرك الى ديانة برهما ✻ في الهند ✻ ودين بوذه ✻ في الصين ✻ ودين زرادشت ✻ في بقايا الفارسيين ✻ وكثير من اديان أُخر

الثاني

الامر الثاني ان تكون نفوس الامم مستقبلة وجهة الشرف طامحة

الى بلوغ الغاية منه بان يجد كل واحد من نفسه انه لائق باية مرتبة من مراتب الكمال الانساني ماعدا رتبة النبوّة فانها بمعزل عن المطمع وانما يختص الله بها من شاء من عباده ولا يذهب وهم احد من الامة الى انه ناقص الفطرة منحط المنزلة فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات فاذا اخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة أعني الاقبال على وجوه الشرف تسابق كلٌّ مع الآخر في مجالات الفضائل وتمادت بهم المجاراة الى محاسن الاعمال فبلغ كلٌّ واحد ماأتي عليه سعيه من عاليات الامور وشرائف المراتب ولو ان قوماً اساؤا الظن بانفسهم واعتقدوا ان نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد وخسة المنزلة وان لاسبيل لهم الى الوقوف في مصاف غيرهم من طبقات الناس فلا ريب يسقط من هممهم على مقدار ماظنوا في انفسهم وبذلك يتولى النقص اعمالهم ويملك الخمود عقولهم فيحرمون معظم الكمالات البشرية وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيوية وتكون جولتهم في دائرة ضنكة محيطها دون ماظنوا بانفسهم

ان دين الاسلام فتح ابواب الشرف في وجوه الانفس وكشف لها عن غايته واثبت لكل نفس صريح الحق في اي فضيلة وانبأ كل ذي نطق بوفرة استعداده لأي منزل من منازل الكرامة ومحق امتياز الاجناس وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفسي لاغير فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة · وقد لانجد من الاديان مايجمع اطراف هذه القاعدة · فلديك دين ﴿برهما﴾ قسم الناس الى

اربعة اقسام احدها ❊ برهمن ❊ وثانيها ❊ جهتري ❊ وثالثها ❊ ويش ❊ ورابعها ❊ شودر ❊ وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لايجاوزها فاعلى منازل الكمال للبرهمن ويليها منزلة الجهتري والصنف الرابع اخسها وادناها في جميع المزايا الانسانية وكان هذا التقسيم سبباً في انحطاط المتدينين بهذا الدين وقصور خطاهم عن الرقي في مدارج المدنية وانحسار افكارهم دون الوصول الى مايطلبه استعدادهم من المعارف الصحيحة والعلوم الحقة مع انهم اقدم الامم واسبقها نظرًا في الكون وشؤونه ومن الاديان مايغلب اليوم على امم من البشر وفي اصوله تفضيل شعب خاص على بقية الشعوب كشعب اسرائيل مثلا وكتابه المعروف يخاطب ابناء ذلك الشعب بالكرامة والاجلال ويذكر غيرهم بالتحقير والاهانة: نعم جاء رؤساء ذلك الدين وانسلوا من هذا الحكم وأُغفل فيما بينهم حتى كانه لم يكن من دينهم الا ان ماسلبوه من الكرامة عن غيرهم انتحلوه لانفسهم فارتفع امتياز الجنسية من بين اهل الدين وخلفه امتياز الصنفية فسمت منزلة الروساء الروحانيين في قلوب الآخذين بدينهم حتى صار من عقائدهم ان صنفاً من الناس على منزلة اقرب الى الله بحيث لايرد الله له طلبه ثم هو الحجاب بين الله وبين سائر الاصناف لايقبل الله من احد صرفاً ولا عدلا ولا يعدّ له بايمان ولا يغفر له ذنباً بتوبة حتى يتوسط له اهل طبقة الرئاسة فعندهم ان كل نفس وان بلغت من الكمال مابلغت ليس فيها مايؤهلها لعرض ذنوبها على ابواب العفو الالهي ولا أن ترفع اليه طلب

المغفرة لخطيئاتها بل لابد في قبول ذلك منها ان يكون بواسطة الرئيس الديني ومن آمن بالله وصدق به وأخذ باحكامه لاينظر الله لايمانه حتى ينظر اليه الرئيس الديني ويعتده ايمانا واستندوا في هذه العقائد على نصوص من كتابهم تفيد ان مايحلونه في الارض يكون محلولا في السماء وما يعقدونه في الارض يعقد في السماء وقد جلبت هذه العقيدة على اهل هذا الدين شقاء طويلا والقت بهم في جهالة عمياء وذلة خرساء زمنا مديدا حتى ظهر فيهم مجددون نقضوا ذلك العقد وخالفوا فيه ما اشتهر من نصوص الكتاب وقلدوا في ذلك الدين الاسلامي وسموا مذهبهم مذهب الاصلاح ونشروه في ممالك متعددة فلم يلبث قومهم بعد ذلك ان تكشفت عنهم جهالات وحلت من اعناقهم ربق ونهضوا من حضيض ذلة الى ذروة رفعة فنطقوا بعد ماصمتوا وعلموا بعد ماجهلوا وحكموا بعد ماحكموا وسادوا بعد ماسيدوا

﴿ الثالث ﴾

الامر الثالث ان تكون عقائد الامة وهي اول رقم ينقش في الواح نفوسها مبنية على البراهين القوية والادلة الصحيحة وان تحامي عقولهم مطالعة الظنون في عقائدها وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها فان معتقدا لاحد العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لايكون موقنا فلا يكون مؤمنا هذا والآخذ في عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون والقانع بان آباءه كانوا على مثل عقيدته فاولى به ان يكون عليها

يلتقي مع سابقه في مضارب الوهم وفجاج الظن واولئك المتبعون للظن القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عند ما تعودت ادراكه فلا يذهبون مذاهب الفكر ولا يسلكون طرائق النظر واذا استمر بهم ذلك تفشتهم الغباوة بالتدريج ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن اداء وظائفها العقلية بالمرة فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر فيحيط بهم الشقاء ويتعثر بهم البخت وبئس المآل مآلهم

فان كان لابد من الاستئناس لما نقول بقول اوربي فهذا « كيزو » الفرنساوي صاحب تاريخ « سيفليزاسيون » اي التمدن الاوربي قال ان من اشد الاسباب اثرًا في سوق اوروبا الى تمدنها ظهور طائفة في تلك البلاد قالت ان لنا حقًا في البحث عن اصول عقائدنا وطلب البرهان عليها ولو كان ديننا هو الدين المسيحي وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوها ما ادعت من الحق محتجين عليها بان بناء الدين على التقليد فلما اخذت تلك الطائفة قوتها وانتشرت افكارها نصلت عقول الاوربيين من علة الغباوة والبلادة ثم تحركت في مداراتها الفكرية وترددت في المجالات العلمية وكدحت لاستحصال اسباب المدنية

ان الدين الاسلامي يكاد يكون متفردًا من بين الاديان بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون وتبكيت الخابطين في عشواء العماية والقدح في سيرتهم . هذا الدين يطالب المتدينين ان يأخذوا بالبرهان في اصول دينهم وكلما خاطب خاطب العقل وكلما حاكم حاكم

الى العقل تنادي نصوصه بان السعادة من نتائج العقل والبصيرة وان الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة واهمال العقل وانطفاء نور البصيرة ويرفع اركان الحجة لاصول من العقائد كل منها ينفع العامة ويفيد الخاصة وكلما جاء بحكم شرعي اتبعه بيان الغاية منه في الاغلب (راجع القرآن الشريف)

وقلما يوجد من الاديان ما يساويه او يقاربه في هذه المزية واظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة ومن الاديان الظاهرة ما بني اعظم اركانه على اصل الكثرة في الواحد او الوحدة في الكثير وان الواحد يكون اكثر والكثير يكون واحدا مما تنبذه بداهة العقل فلما انكر العقل اصل هذا أجمع اهل الدين على انه فوق نظر العقل فلا ينال الفكر دركه لا بالكنه ولا بالوجه ولا يهتدي لدليل عليه ولا مرشد اليه يريدون انه لابد من تنكب طريق العقل ونبذ احكامه حتى يمكن الايمان بهذا الاصل مع ان العقل مشرق الايمان فمن تحول عنه فقد دابر الايمان وان فرقا بين مالا يصل العقل الى كنهه لكنه يعرفه باثره وبين ما يحكم العقل باستحالته فالاول معروف عند العقل يقر بوجوده ويقف دون سرادقات عزته اما الثاني فمطروح من نظره ساقط من اعتباره لا يتعلق به عقد من عقوده فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه اما اصول دين برهما فمن البين لكل ناظر فيها ان اغلبها مخالف لصريح العقل وذلك من جليات المسائل سواء اعترف اهل هذا الدين بثبوته او كابروا بانكاره

﴿ الامر الرابع ﴾

الرابع ان يكون في كل امة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الامة لا ينون في تنوير عقولهم بالمعارف الحقة وتحليتها بالعلوم الصافية ولا يألون جهداً في تبيين طرق السعادة لهم والسلوك بهم في جوادّها ثم طائفة اخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتثقيف اودها وتكشف عن الاوصاف الفاضلة وحدودها وتمثل للمدارك فوائدها ومحاسن غاياتها وتفضح مستور الرذائل وتشق الحجاب عن مضارها وسوء منقلب المتدنسين بها وتشتد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تلهيها عنهما غفلة ولا تردها عنهما صعوبة

وذلك ان بداهة العقل حاكمة بان جل المعارف البشرية والعقائد الدينية مكتسبة فان لم يكن في الناس معلم قصرت العقول عن درك ما ينبغي لها دركه وانقطعت دون الكفاية مما يلزم لسد ضرورات الحياة الاولى والاستعداد لما يكون في الاخرى وساوى الانسان في معيشته سائر الحيوانات وحرم سعادة الدارين وفارق هذه الدنيا على اتعس الاحوال فاذن من الواجب الديني اقامة معلم . والشهوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ولا لرغائب الانفس غاية تنقطع عندها فان فقد من بين الناس مقوّم النفوس ومعدل الاخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع الى الحيف والاجحاف ومن طغت بهم شهواتهم سلبوا راحة غيرهم وهتكوا ستر أمتهم ثم هم لا ينفلتون من غائلة اعمالهم بل يحترقون بنيران شهواتهم فيرافقون الدنيا على عناء و يفارقونها الى شقاء فاذن لا بد من الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر

القائم بتقويم الاخلاق . وان من اهم الاركان الدينية في الديانة الاسلامية هاتين الفريضتين ﴿ نصب المعلم ليؤدي عمل التعليم واقامة المؤدب الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ﴾ راجع القرآن الشريف ﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وغير هذه الآية آيات كثيرة ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وسواها آيات ﴾ وقد برز دين الاسلام على غالب الاديان في العناية بهذين الامرين

وحيث كانت اركان الدين الاسلامي بالغة حد الكثرة فلو اخذت في بيان مايفيده كل ركن منها في تقويم المدنية وتشييد بناء النظام الانساني واقامة الدليل على ان كل اصل من اصول هذا الدين عنصر لحياة السعادة الانسانية لخرجت عن القصد من هذه الرسالة

ولهذا أخذت على نفسي ان اضع رسالة تختص بذلك الغرض أُبين فيها ان المدنية الفاضلة التي مات الحكماء على حسرة من فقدها لاتختط في العالم الانساني الا بالدين الاسلامي

فان قال قائل ان كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين على ما نري من الحال السيئة والشأن المحزن فجوابه ان المسلمين كانوا كما كانوا وبلغوا بدينهم مابلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفي الآن من القول بهذا النص الشريف ﴿ ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ﴾

وهذا آخر ما اردت بيانه في هذه الرسالة ينتهي به ما جملته في كشف سوآت النيشريين «الدهريين» ومضار طريقتهم في المدنيـة والهيئة الاجتماعية الانسانية وتوضيح الادلة على منفعة الاديان ولزومها لقيام النظام البشري خصوصاً دين الاسلام والى الله المنتهى ورضاه المبتغى والصلاة والسلام على خاتم رسله وآله وصحبه وسلم

خاتمة الطبع

بحمد من طبعت على حمده القلوب وفاضت بشكره الجوارح قد كمل طبع هذه الرسالة في هذه الديار التي كان لحضرة مؤلفها في ارضها الطيبة اعظم الغراس الذي اثمر يانعه. وانه ليجدر بابناء بلاد قطفت ايدي قرائحهم من هاتيك الرياض الزاهية ازهار الفضائل والعرفان ان يصونوا في ثنيات الافئدة واودية المهج هذا الاثر الجميل الذي يمثل ذلك الانسان الجليل (السيد جمال الدين الافغاني) كأنه وهم من حوله يلقي عليهم آيات العلوم من فيضان تلك المدارك مدارك الابطال الراسخين في العلم الثابتين في اليقين الموطدين في العقول. وان يكونوا اولي الناس بالمحافظة على هذا الذكر الطيب الخالد مابقي فيهم من يدين بالجميل ويعترف بالمنة فيكونون قـد شاركوا ابناء سوريا الألى كانوا يحنون شوقاً لرؤية ذلك المولى مدرساً بينهـم في الايام الاخيرة التي انتصرت فيها دولة

العلم فى تلك الربوع حتى صادفت رغائبهم في ذاك العهد وجود حضرة الاستاذ مترجم هذه الرسالة بينهم فنهلوا من علومه وعلُّوا وتمت امانيهم بنقله اياها من الفارسية الى العربية وطبعها هناك (في سنة ١٣٠٣ للهجرة) فتلقفتها الايدي من كل مكان وسارت بها الرواحل والركبان حتى لم تبق مدرسة في لبنان والشام الا ونالتها ووعت عقول تلامذتها معانيها واستفادت ملكاتهم الانشائية من رفعة اساليبها وجودة تنسيقها وبُعد ضروب كتابتها مع قرب فهمها في مكانة منطق وقوة جدل لا ينفذ في سياجه انفذ سهم يوجد الشك لمعتقد في البرهان وهذا كله ماحداني الى التماس اعادة طبعها لتعميم نفعها في البلاد المصرية بغية نشر العلم وخدمة للوطن فكانما يتمني علو شأنه بتوجيه العزائم الى بث العلوم النافعة الناشلة من وهدة الجهل النازعة جلابيب الاباطيل والخرافات السائرة بالانسان في محجة الآداب الشرعية ومناهج الصواب الحقة الحكمية في زمن مولانا القائم على سنن الفضل الآخذ بزمام العدل خديوينا الاعظم (عباس باشا حلمي الثاني) أدام الله بدر اصلاحه ساطعاً في الرعايا ونور فلاحه لامعاً في البرايا ماطبعت آيات مدحه في الكمال امين كتبه

عبد العليم صالح
الازهري المحامي

(تنبيه) وقع خطأٌ في سطر ١٣ من صحيفة ٣٥ وهو (عمل يعتقد) وصحته (عمل من يعتقد)

منفيس

صحيفة سياسية تصدر مرتين في الاسبوع

طلب اشتراك

BULLETIN D'ABONNEMENT

AU JOURNAL POLITIQUE BI-HEBDOMADAIRE

LE MEMPHIS

ORGANE DES INTÉRÊTS EGYPTIENS

ADMINISTRATION RUE HOCH-EL-CHARKAWI, CAIRE

ABONNEMENTS		الاشتراكات	
ÉGYPTE	SIX MOIS. P. T. 50	داخل القطر	٥٠ غرشا صاغ الستة اشهر
	UN AN... P. T. 80		٨٠ » السنة
ÉTRANGER	SIX MOIS... F. 15	خارج القطر	١٥ فرنكا الستة اشهر
	UN AN... F. 25		٢٥ » السنه
N.B. les abonnements partent des 1er & 15 de chaque mois.		تبتدي الاشتراكات من ١ و١٥ كل شهر افرنكي	

Je soussigné .... انا الموقع على هذا

Demeurant à .... القاطن

.... ارغب الاشتراك في جريدة منفيس لمدة

désire m'abonner au MEMPHIS pour ....

.... le 1895

(الامضاء) (*signature*)

فهرست الكتاب

وامير المدينة وناظر الحرمين وامير العرب والقضاة وقضاة العسكر والمحتسب
ووصية الخطيب وشيخ الشيوخ ونقيب انسادة الاشراف ووكيل بيت المال
المعمور ووصية لمدرس والمقري والمحدث والنحوي والطبيب والمنجم والموقت ورئيس
اليهود والسامرة وبطريق النصارى وغير ذلك من وصايا كل طائفة رملة والقسم
الثالث ويحتوي على يمين شريف يستحلف بها المبايعة العامة وايمان نواب
القلاع والوزراء وارباب التصرف في الاموال وكتاب الاسرار وايمان اليهود
والنصارى والسامرة والمجوس وطوائف اهل البدع كالاسماعيلية والنصيرية
والخوارج وغيرهم كالحكماء والقدريه القسم الرابع في الامانات والدفن
والمواصفات والمفاسخات والخامس في نظام كل مملكة وما هو مضاف اليها من
المدن والقلاع والرساتيق وفيها جغرافية بلاد الشام ومصر بشرح يجذب القلب
ويسلب اللب السادس في مراكز البريد والحمام وهجن الثلج والمناور والمحرقات
وفيها شرح هذه المراكز في بلاد الاسلام السابع في اوصاف ماتدعو الحاجة الى
وصفه مما يكثر ذكره في المكاتبات وفيه سبعة فصول الاول في وصف الآلات
وما يندرج معها بحكم التبع كالاسلحة وآلات الحصار والآلات الملوكيه وآلات
السفر وآلات الصيد وآلات المعاملة وآلات الطرب وآلات اللعب وآلات
المسكرات والفصل الثاني في الحيوان والثالث في الامكنة والخامس في الكواكب
والسادس في الازمنة السابع في الانواء وهذا الكتاب المفيد النافع للافادة
والاستفادة يباع بعشرة قروش صاغ في مطبعة العاصمة بحوش الشرقاوي
وبادارة جريدة المؤيد وبمكتبة السيد عبد الواحد الطوبي ومكتبة امين افندي
هنديه ومكتبة ابراهيم افندى فارس بشارع كلوت بك

محل مبيع الكتاب

مصر عند مازنه عبد العليم صالح بمكتب المسيو كارتون دي و

اسيوط بمكتب حضرة محمد افندي ابو شادي المحامي

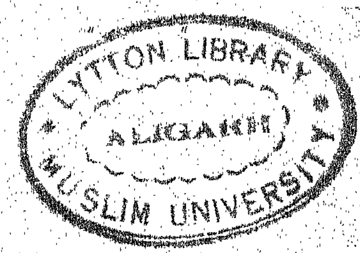
الزقازيق « محمود افندي الجمال المحامي

طنطا « ... افندي ... المحامي

« « ... دي عبد ال... ي

اسكندريه « محمد افندي الشوباشي المحامي

محمد افندي ... المحامي

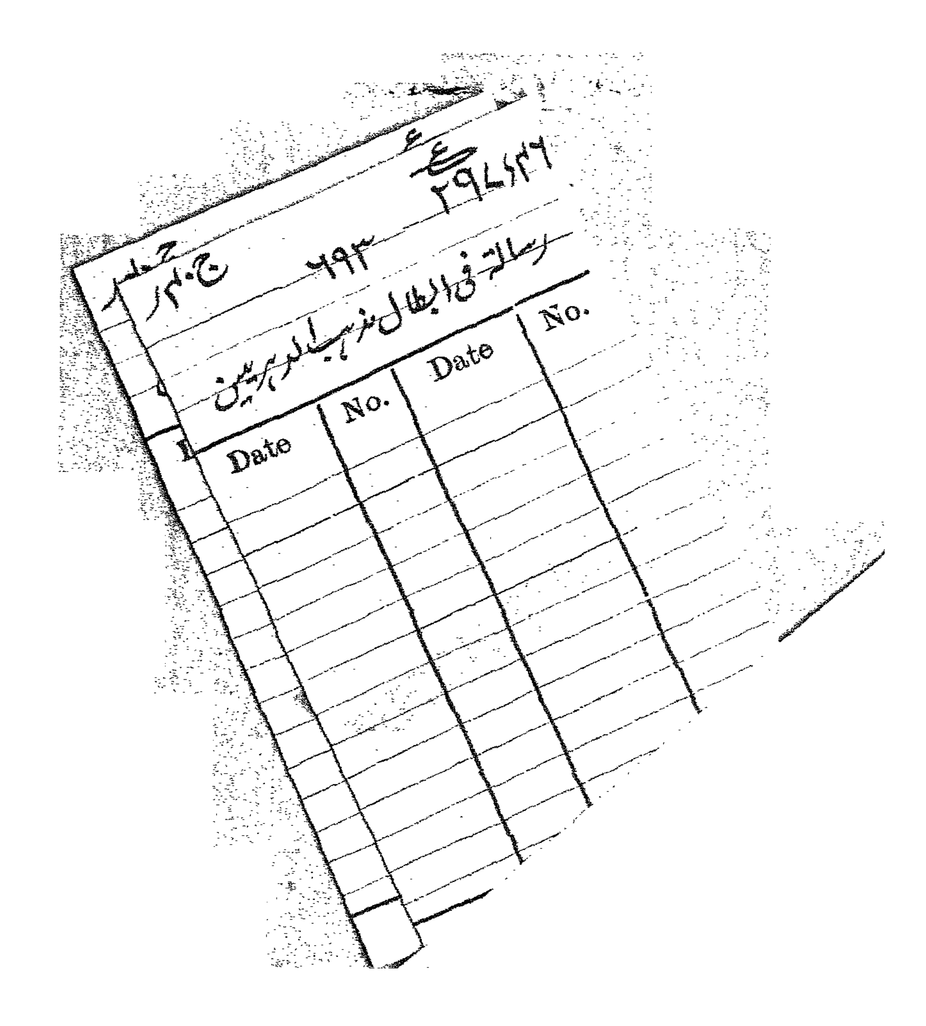


منفيس

جريدة سياسية تصدر مرتين في الاسبوع باللغتين العر
والفرنسوية والغرض الاصلي منها هو نشر الحقائق والاعراب عن عواط
المصريين وايصال آرائهم وافكارهم الى اوربا بترجمة اهم مايجيء في
الجرائد العربية الوطنية أما القسم العربي فقد خصص جزء منه لتعريب
الشذرات المهمة التي ترد في الجرائد الافرنكية من مطبوعة داخل القـ
وخارجه . وقد تفضل كثير من افاضل الكتاب في اللغتين العر
والفرنسوية بموافاتنا بالكتابات المهمه فعلى من يريد الاشتراك فيها ا
ينزع الطلب المطبوع في آخر ورقة من هذا الكتاب ويرسله الى

محمد مسعود

مدير الجريدة ومحررها



Date
No.
Date
No.

